الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبيـــــة

جامعـــــــة زيان عاشور بالجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

مطبوعة بيداغوجيّة موجّهة لطلبة السنة الأولى علوم اجتماعية ل.م.د

في مقياس:

مدارس ومناهج

من إعداد: د.طعبة سعاد

السنة الجامعية 2022/2021

فهرس المحتويات

مقدمـة

الفصل الأول: الإسهام النظري للبحث العلمي و أهم المناهج العلمية

المبحث الأول: ماهية العلم و البحث العلمي

1.ماهية العلـم

1.1. مفهوم العلم

1.2.العلم و المعرفــة

2.أهداف العلـم

3. خصائص التفكير العلمي

4.ماهية البحث العلمي

5. مراحل إعداد البحث العلمي

المبحث الثاني: مناهج البحث العلمي

1. المنـهج الوصفي

2. المنـهج التجريبي

3.منـهج دراسة الحالة

4.المنـهج التاريخي

5. المنـهج المقارن

6. منـهج المسح الاجتماعي

الفصل الثاني: أهم مدارس المنهجية الكبرى
تمهيد
1.المدرسة الإسلامية
2. المدرسة الماركسية
3.المدرسة الماركسية المحدثة
4. المدرسة الوضعية
5.المدرسة الوضعية المحدثة
6.مدرسة التحليل النفسي
الخاتمة
قائمة المراجع

مقدمة:

يعتبر البحث الاجتماعي شكل من أشكال النشاط الاجتماعي المنظَّم، الذي يرتبط أساسًا بغيره من الأنشطة الاجتماعيّة الأخرى، حيث أصبح الباحث الاجتماعي يعتمد أكثر من ذي قبل على الدعم الذي يوفّره له المجتمع الكبير الذي بدوره يعلّق باستمرار آمالًا كبيرة على المعلومات التي يوفّرها البحث الاجتماعي الموجَّه نحو اقتراح و صياغة الحلول الملائمة للمشكلات الاجتماعيّة.

فالبحث الاجتماعي ينطوي على جهود منظمة تسعى إلى استنباط معلومات دقيقة ومفصّلة من الناحية التطبيقيّة أو المجتمعيّة(الميدان العملي و الواقع الاجتماعي) دون إغفال القيمة العلميّة للمعرفة النظريّة، لأنّ الإسهام النظري للبحث الاجتماعي يرتكز على اختبار الفروض، صياغة المفاهيم و القضايا، تكوين البناءات النظريّة و التحقّق منها و تعديلها من أجل تفسير الملاحظات الامبريقيّة و الظواهر الاجتماعيّة و عليه فقد اختلف العلماء في تحديد ماهيّة البحث العلمي، لكن هذا الاختلاف ليس قائمًا على الخلفيّة النظريّة و إنما على أساس اختلاف الموضوعات المبحوثة و التخصّصات العلميّة في العلوم الاجتماعيّة، لذلك هناك مجموعة من التصنيفات للمناهج في العلوم الاجتماعيّة تعدّدت من حيث الخلفيّة النظريّة التي تعتمد عليها وطبيعة الموضوعات التي توظّف في معالجتها و الملاحظ أنّ التصنيفات في المناهج تتناول الجانب الفلسفي أو الجوهري من المناهج، لذلك تصنّف المناهج إلى فئتين رئيسيّتين :المناهج القائمة على التحليل الكمّي للبيانات والدراسات الامبريقيّة **كالمنهج الوصفي و التجريبي و دراسة الحالة و المسح الاجتماعي،** و الفئة الثانية تتمثّل في المناهج القائمة على التحليل البنيوي والمقارن مثل **المنهج المقارن و المنهج التاريخي.**

ولو تمعنّا النظر في الأبعاد الثلاثة التالية :المعرفة العلميّة والواقع الاجتماعي والوسائل المنهجيّة، لوجدناها تشكّل المحاور الأساسيّة للعلوم الاجتماعيّة التي يسعى مفكّروها إلى بناء معرفة علميّة تساعد في فهم وتفسير المجتمع وأجزائه وإمكانية التنبّؤ بما يُمكن أن يكون عليه، ثمّ الاستخدامات التطبيقيّة لهذه المعرفة.

في هذا السياق يندرج هذا العمل المتواضع في شكل مطبوعة تصنّف ضمن المبادارات العلميّة للبعد المنهجي و الفكري في العلوم الاجتماعيّة، و التي تتضمّن محاضرات موجّهة لطلبة السنة الأولى علوم اجتماعيّة في مقياس مدارس و مناهج و هو مقياس سنوي موزّع على سداسيّين خلال العام الدراسي، حيث يشمل السداسي الأوّل تصنيفات المناهج العلميّة، والسداسي الثاني أهمّ المدارس المنهجيّة الكبرى، يدخل هذا الترتيب ضمن البرنامج الوزاري المقرّر ، في هذه المطبوعة حاولنا تسليط الضوء على الجانب العملي للبحث العلمي تماشيًا مع قدرات و كفاءات الطالب، كما تمّت إضافة بعض التطورات و الاتّجاهات الحديثة إلى محتوى المدارس.

الفصل الأول: الإسهام النظري للبحث العلمي و أهم المناهج العلمية

تمهيد:

حظي البحث العلمي بالعناية من قِبل المؤسسات العلمية من جامعات و مراكز بحوث بهدف الاستطلاع الفكري و تحقيق المنفعة العالمية من العلم والبحث العلمي، و الارتقاء به من المجال النظري إلى التطبيق العملي، ويرجع كل هذا إلى حاجتنا إلى توحيد الأصول و القواعد المتعارف عليها في مجال البحث العلمي.

المبحث الأول :ماهية العلم و البحث العلمي:

1.ماهية العلم:

1.1. مفهومه : ورد في معجم " لسان العرب "أن العلم لغة هو نقيض الجهل لذا فالعلم لغة مصدر كلمة" علم"، وعلم الشيء عرفه، علم الشيء علما عرفه و رجل علامة أي عالم جدا، وقد تعددت مفاهيمه و اختلفت، و يعود هذا إلى اختلاف وجهات النظر لموضوع العلم وطبيعته، فمن يُقصد بها مجال كليات العلوم، فيما يميل ، (Sience)المفكرين من يرى أن كلمة علم بمعنى البعض الآخر إلى توسيع مدلوله؛ بحيث يضم مجال كليات العلوم و البحوث الجادة الموضوعية في التاريخ والآداب والفنون، وآخرون يحددون العلم من خلال مناهجه التي ترتكز على دعائم أساسية تفرض الفروض والملاحظة وإجراء التجارب ما أمكن، ثم مرحلة قبول الفرض وصياغته في نظرية، أو ربما رفضه، والمنطق في كل ذلك استقراء واستنتاج.

ولقد عُرّف العلم بأنه مجموعة من الحقائق يأتي بها بحث موضوعي مجرد، وتعريف الأكاديمي يقول:" إن العلم مجموعة الخبرات الإنسانية التي تجعل الإنسان قادرا على التقدير، أو أن العلم هو فهم ظاهرات الكون، أسبابها وآثارها، والمفهومان لهما مضمون مشترك هو المقدرة على ربط الأسباب بالمسببات". **(رجاء وحيد دويدري 2008 ، ص22)**

أما(**كارل بيرسون)** فيرى أن ميدان العلم غير محدد، كل مجموعة من الظاهرات الطبيعية، كل طور من أطوار الحياة الاجتماعية، كل مرحلة من مراحل التطور القديم أو الحديث، كل ذلك يعتبر مادة للعلم.

و عموما فإن العلم هو "مجموعة المعارف المتكاملة والمبادئ و الكليات العامة المتعلقة بحقيقة ظاهرة معينة، ويقوم العلم على أساس الملاحظة والتجربة ولا يستند إلى الميول الفردية أو الآراء الشخصية ".**(أحمد عياد 2009 ، ص07)**

2.1. العلم و المعرفة:

العلم هم الاستدلال الفكري، أما المعرفة فهي العلم التلقائي، وهي أوسع و أشمل من العلم، تتضمن معارف علمية، و أخرى غير علمية، و التمييز بينهما يبنى على أساس قواعد المنهج و التفكير العلمي و أساليب التفكير التي تتبع تحصيل المعارف، فإذا اتبع الباحث قواعد المنهج العلمي و خطواته في التعرف على الظواهر و الكشف عن الحقائق الموضوعية، فإنه يصل إلى المعرفة العلمية .**(رجاء وحيد دويدري 2000 ، ص24)**

ولقد تم الحصول على المعرفة على مراحل وهي:

***المرحلة الأولى** :مرحلة المعرفة الحسية والخبرة الذاتية، وما تزال قائمة بيننا حينما يعجز

الإنسان عن تفسير مواقف أو مواجهتها، وتنطبق هذه المرحلة على مرحلة طفولة العلم؛ حينما كان الإنسان يحاول أن يجد حلا دون أن يستطيع التحرك بطريقة منظمة، و بهذا نقول إن المحاولة والخطأ تعتبر مراحل تطوير العلم.

***المرحلة الثانية** :هي مرحلة الاعتماد على مصادر الثقة والتقاليد السائدة، كالاعتماد على الحكماء القدامى في تعليل بعض الظاهرات كاعتماد الحضارة الغربية في القرون الوسطى على تعاليم أفلاطون وأرسطو وغيرهم، لقد كان الاعتماد أهم من التقصي والتحقيق، و ماتزال هذه الطريقة متبعة حتى عصرنا الحالي.

***المرحلة الثالثة** :هي مرحلة التأمل والحوار، وهي مرحلة التدليل العقلي والمنطقي، فقد توصل أرسطو بواسطة التفسير العقلي من المعروف إلى غير المعروف بإتباعه لعملية استدلالية أو استنتاجية تعتمد في أساسها على القياس المنطقي، لكن طريقة الاستنتاج أو الاستدلال تخدع الباحث أحيانا؛ لأنها لا تركز اهتمام الباحث على البحث عن الحقيقة ذاتها؛ بل تشغل عقله بالعمليات العقلية والحوار الماهر.

***المرحلة الرابعة** :هي مرحلة المعرفة العلمية والتحقيق العلمي؛ أي مرحلة وضع الفروض

و إجراء التجارب، ثم استخلاص النتائج، وتُعتبر هذه الطريقة أكثر دقة إذا أمكن تحويل إن المعرفة العلمية جاءت في " « المعلومات المتعلقة إلى تعبير كمي، كما يقول" أوغست كونت" مرحلة متأخرة من تطور العقل الإنساني؛ حينما استطاع أن يفسر الظاهرات تفسيرا

علميا، يربط تلك الظاهرات ربطا موضوعيا، هذا النوع من المعرفة هو المعرفة العلمية التجريبية، تقوم على أساس الملاحظة المنظمة للظاهرات أو وضع الفروض و التحقق منها بالتجربة، و تجميع البيانات و تحليلها، و لا تقف المعرفة العلمية عند المفردات الجزئية التي يقوم الإنسان ببحثها؛ بل تتجاوز ذلك حتى يصل إلى قوانين و نظريات عامة، تربط هذه المفردات بعضها ببعض، و تمكّنه من التنبؤ بما يحدث للظاهرات المختلفة تحت ظروف معينة» . **(رجاء وحيد دويدري 2000، ص ص26 ، 27)**

2. أهداف العلم :

كان يعتقد سابقا أن الإنسان في صراع مع الطبيعة، و لذلك جاءت نشاطاته العلمية و غير العلمية من أجل السيطرة عليها و لكن المفاهيم الحديثة للحياة الإنسانية فرضت على الإنسان أن يقيم علاقات ايجابية يحترم من خلالها الطبيعة و يفهم ظواهرها ليكون قادرا على التكيف الإيجابي معها وتنظيم علاقته بها . **(ذوقان عبيدات، سهيلة أبو السميد، 2002، ص 19)**

ويعتبر الهدف الأساسي للعلم هو التوصل إلى النظرية، هذه الأخيرة التي تمثل تفسيرات عامة للظواهر الطبيعية، فالنظرية هي الهدف النهائي للعلم، والنظرية هي بنيان من المفاهيم المترابطة والتعريفات والمقولات التي تقدم نظرة نظامية إلى الحوادث بواسطة تحديد العلاقات بين المتحولات بهدف تفسير الحوادث والتنبؤ بها.

(محمد عبد العال النعيمي،عبد الجبار توفيق،غازي جمال خليفة: 2009، ص23)

مثال ذلك قد يكوّن الباحث نظرية عن أسباب الفشل في مهمة ما، وقد تكون متحولاته هي مقدار الذكاء، العمر، الخبرة، القلق...إن الحادث المطلوب تفسيره هو الفشل في هذه المهنة، والفشل في هذه الحالة يفسر بعلاقات محدودة بين كل من المتحولات المذكورة و الفشل في هذه المهنة وبين مجموع المتحولات و الإخفاق في العمل، و الباحث الذي يستخدم هذه المفاهيم بنجاح، يدرك سبب الإخفاق، ويصبح قادرا على تفسيره أو إلى حد ما قادرا على التنبؤ به. **(رجاء وحيد دويدري 2000 ، ص28)**

3.خصائص التفكير العلمي :

التفكير العلمي هو كل دراسة تعتمد منهج الملاحظة الحسية و التجربة العملية إن كانت ممكنة، وتتناول الظاهرات الجزئية في عالم الحس، وتستهدف وضع قوانين لتفسيرها بالكشف عن العلاقات التي تربط بينها وبين غيرها من الظواهر، وصياغة هذه القوانين في رموز رياضية، وذلك للسيطرة على الطبيعة، والاستفادة من مواردها وتسخير ظاهراتها لخدمة الإنسان، وأهم خصائص التفكير العلمي نذكر مايلي:

1.3.التخلي عن المعلومات السابقة :أي أن يقف الباحث من موضوع بحثه موقف الجاهل، أو أن يتجاهل كل من يعرفه عنه، حتى لا يتأثر أثناء بحثه بمعلومات سابقة يُحتمَل أن تكون خاطئة فتقوده إلى الضلال، وقد حرص على التنبيه إلى هذا واضعوا مناهج البحث

العلمي من الغربيين منذ مطلع العصور الحديثة، ومن هؤلاء" **فرانسيس بيكون (1626)** " واضع أصول المنهج العلمي، وأشار إلى ذلك" **ديكارت (1650)** "في كتابه" التأملات في الفلسفة"، والمعروف بالشك المنهجي و أن يتحرر من كل سلطة إلا سلطة عقله، و هذا لا ينفي وجود خطة للبحث و قد قال" كلود برنارد "في كتابه" مدخل لدراسة الطب التجريبي "إن التجربة يسبقها تدبير لظروفها لإيجادها . **(رجاء وحيد دويدري 2000، ص ص 30-31)**

2.3.الملاحظة الحسية كمصر وحيد للحقائق : يراد بالملاحظة توجيه الذهن والحواس إلى ظاهرة حسية بغية الكشف عن خصائصها والتوصل إلى كسب معرفة جديدة، أما التجربة فهي ملاحظة مستثارة يتدخل الباحث في سيرها حتى يلاحظها في ظروف هيأها و أعدها بإرادته تحقيقا لأغراضه، وقد لا تتيسر التجربة في بعض العلوم الطبيعية، كالفلك وعلم طبقات الأرض، كما أن الحواس قد تقصر عن إدراك بعض الظواهر إدراكا مباشرا ، فعوضوا ذلك باختراع آلات وأجهزة ساعدت على أن تحول نتائج البحث إلى كميات عددية دقيقة اعتقادا منهم بأن من أهم خصائص البحث العلمي تحويل الكيفيات إلى كميات عددية والتعبير عن نتائج الدراسات العلمية برموز رياضية. **(رجاء وحيد 2008 ، ص31)**

3.3. نزوح التفكير العلمي الحديث إلى التكميم (القياس الكمي): فقد نقل التقدم العلمي الحديث مركز الاهتمام من الملاحظة الحسية إلى تحويل الكيفيات إلى كميات، والتعبير عن وقائع الحس بأرقام عددية، وأصبحت الظواهر المشاهدة تُترجم إلى رسومات بيانية، وجداول إحصائية، وتماشيا مع هذه النزعة اختُرعت آلات وأجهزة، وأمكن تحويل الكيفيات إلى كميات

عددية تتميز بالدقة والضبط، كما كانت العلوم الإنسانية الحديثة قد نزعت بدورها إلى اصطناع المنهج التجريبي ما أمكن ذلك، فقد اتجهت بدورها إلى تكميم دراستها وتحولت قوانين العلم إلى دلالات رياضية، وبهذا احتلت مكان الصدارة في البحث العلمي الذي لا يزال يعتمد على الملاحظة الحسية والتجربة العلمية، ومن العرب نذكر في هذا الشأن" ابن الهيثم"،" الإدريسي" و"الزهراوي"، إضافة إلى ذلك أن علماء العرب نزعوا إلى اختراع آلات تُستخدم في تحويل الكيفيات إلى كميات عددية توفيرا للدقة في نتائج البحوث العلمية. (**رجاء وحيد دويدري 2000 ، ص3)**

4.3. نزاهة الباحث : يراد بها اقصاء الذات ، أي تجرد الباحث من الأهواء و الميول و الرغبات، و إبعاد المصالح الذاتية و الاختيارات الشخصية، وبالتالي فهي تقتضي إنكار الذات وتنمية كل ما يعوق تقصي الحقائق من طلب شهرة أو مجد، مع الحرص على توخي الدقة حتى يتسنى للباحث أن يفحص موضوعه في أمانة و من غير تحيز، و يستلزم ذلك طاقة أخلاقية، و روحا نقدية، و تحررا من أي سلطة، يمكن أن تملي عليه رأيا، بهذا يتوخى الحق و يُخلص في طلبه، و يستبعد التعصب و يتفانى في تحري الحقائق و تمحيصها وفاءً بحق الأمانة العلمية. **(رجاء وحيد دويدري 2008 ، ص32)**

إن هذا التجرد هو الذي يجعل العلم يلجأ إلى وسيلة وحيدة للإقناع، هي الدليل و البرهان الموضوعي، بالإضافة إلى الابتعاد عن الربح أو المال، كما أشار إلى ذلك" أفلاطون "حيث

قسم البشر إلى محبي الكسب كالتجار والصناع، ومحبي الشهرة كالحكام السياسيين ، و محبي العلم أو المعرفة و هم العلماء و الفلاسفة. **(فؤاد زكرياء ، 1988،ص291)**

5.3. الموضوعية : أوجب الباحثون المحدثون من الغربيين أن يتوخى العالم الموضوعية في كالبحث يتصدى له، بمعنى أن يحرص على معرفة الوقائع كما هي في الواقع، و ليس كما تبدو في تمنياته، ويقتضي هذا إقصاء الخبرة الذاتية لأن العلم قوامه وصف الأشياء، وتقدير حالتها، ومحك الصواب في البحث العلمي هو التجربة التي تحسم أي خلاف يمكن أن ينشأ بين الباحثين، حيث ينتهي العلماء في دراساتهم لأية ظاهرة إلى نتائج موحدة. **(رجاء وحيد دويدري، 2008 ، ص33)**

6.3.الاعتقاد بمبدأ الحتمية : أي القول بأن لكل ظاهرة علة توجب وقوعها ولكل علّة معلول ينشأ عنها؛ فالظاهرات يتحتم وقوعها متى توافرت أسبابها، و يستحيل أن تقع مع غياب هذه الأسباب، هذه الاستحالة هي ما يُسمى بالضرورة، ومشكلة العلّية قديمة، قال بها "أرسطو"، وقد اهتم المحدثون بالعلل الفاعلة، وجعلوا العلّة حادثة سابقة على الظاهرات سبقا مطردا، وكان هذا تفسيرا جديدا للعلّة، و أول من قال به بين الغربيين" ديفيد هيوم."

7.3. توافر الثقافة الواسعة للعلماء : ولع الغربيون في العصور الحديثة بالتخصص الضيّق؛ حيث استخف أهله بسائر فروع المعرفة البشرية، وقد شهد القرن العشرين تحولا فجائيا أفضى إلى نوع من التقارب بين العلم التجريبي وغيره من فروع المعرفة البشرية، وكان هذا بعد أن غلبت النزعة المادية على ذلك العلم، وأيد هذا التحول واضعوا المناهج العلمية،

حيث طالبوا الباحثين بالوقوف على كل ما من شأنه أن يساعدهم على دراسة موضوعاتهم و فهمها على أحسن الوجوه . **(رجاء وحيد دويدري 2008، ص3)**

4. ماهية البحث العلمي:

إنّ البحث العلمي مفهوم مكوّن من البحث وهو مصدر الفعل الماضي" بحث"، بمعنى فتّش، تقصى تتبع، تحرى ، حاول واكتشف ، و بمعناه اللغوي الطلب والتقصّي للحقيقة، أمّا كلمة العلمي فهي منسوبة إلى لفظة علم وتعني المعرفة، الدارية و ادارك الحقائق .فالعلم يعني الإحاطة و الإلمام بالحقائق وكلّ ما يتّصل بها.وعليه فالبحث العلمي هو ذلك التقصّي المنظم بإتباع أساليب ومناهج علمية محدّدة للحقائق العلمية،بقصد التأكّد من صحتها وتعديلها أو إضافة الجديد إليها . **(محجوب عطية الفائدي، 1994، ص20.)**

ولكن مهما اختلف الخبراء و الباحثون في تعريف البحث العلمي، فإنّ الجميع متّفق على أنه الوسيلة المستخدمة للوصول إلى حقائق الأشياء، و معرفة كلّ الصلات و العلاقات التي تربط بينها، ذلك أنّ هدف العلم هو البحث عن الحقائق، و البحث هو السعي للإجابة عن التساؤلات وحلّ المشاكل .**(الهادي محمد محمد، 1995، ص29)**

إذن تظهر الحاجة إلى البحث عندما يكون هناك عدم وضوح في موقف ما أو حالة عدم التأكّد أو في حالة غياب حقيقة أو نقص للمعرفة. وعليه فإنّ البحث العلمي هو وسيلة للبحث والاستقصاء المنظم و الدقيق، يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات

جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلا، على أن يتبع هذا الفحص و الاستعلام الدقيق خطوات المنهج العلمي، واختيار الطريقة والأدوات اللازمة للبحث وجمع البيانات .(**المنظمة العربية للبحث العلمي و مشكلاته في الوطن العربي، 2006، ص451)** .

فمن شروط البحث العلمي :الأمانة، الجدّ ية، الطموح، السلوك الطيب والمتّزن و السير في اتجاه سليم و منطقي، للكشف عن الحقائق من خلال الملاحظات و التجارب و التساؤلات حول مواضيع المعرفة البشرية. و من الشروط الأساسية الواجب توافرها في البحث العلمي هي **الأصالة،** والتي يقصد بها ذلك السلوك العلمي في كلّ طرق البحث و وسائله ومنهجه لتحقيق الهدف منه بذكاء ونظام ومنطق وأمانة علمية. وهناك شرط آخر و هو **الابتكار،** بمعنى إضافة جديدة أو الكشف عن شيء جديد، ويعني ذلك القراءة الواسعة لما كتبه السابقون و المعاصرون في الموضوع، لأنّ القراءة هي نصف الابتكار، و الذكاء متمّم لها في الكشف عن الجديد و ابتكاره. **(مبارك محمد الصاوي محمد، 1992،ص25)**

لذلك لا يمكن للبحث العلمي أن يكون في غاية الأهمية دون وجود على الأقل واحد من هذين الشرطين(الأصالة والابتكار)، كما أنه لا يمكن متابعة أي بحث يهدف للوصول إلى تحقيق نتائج معينة أو للكشف عن حقائق مهما كان نوعها دون اللجوء إلى كتابات و تحقيقات و بحوث سابقة في الموضوع نفسه، بمعنى أنّ الاتصال المستمر قبل و أثناء

البحث بكلّ مصدر معلومات، من شأنه أن يضيف عناصر جديدة مفيدة في الموضوع المبحوث.

وعمومًا فإنّ البحث العلمي يجب أن يبني نتائجه بصفة أساسية على الحقائق و تجميع الحقائق، فالباحث كما سبق يمكن أن يتعرف على ما يمكن أن تكون عليه أراء الخبراء المفيدة لأغراض التعزيز و التأكيد، ولكنها لا تحلّ محلّ الحقائق .و بعد أن يتأكد الباحث من الحقائق، فإنه يقوم باختبار وتحري النتائج التي يصل إليها بجميع الطرق الممكنة، للتأكّد من أنه على صواب فيما انتهى إليه من نتائج، وذلك من خلال وضعه لبعض الأسئلة، مثلا هل يّتفق الحلّ مع جميع الحقائق المعروفة؟ وهل الحقائق واضحة و كافية لتأييد النتيجة التي وصل إليها؟... **(طلعت همام،1989، ص ص 38،39)**

و وفقا لهذه الشروط العلمية، **يتطلّب البحث العلمي** ما يلي:

- توفّر الغطاء المادّي الذي يتطلّب الكثير من النفقات على الطباعة، الإقامة، السفر...إلخ.
- إجراءات و عمليات النشر، فهناك العديد من الأبحاث الجيدة قد رُفضت بسبب أنها لا تحمل عناوين جذابة و براقة، كذلك أنّ طول و تعقيد إجراءات التحكيم قد أفقدت الحماس للقيام بالبحث العلمي.
- تدعيم و حماية حقوق المؤلف، و هذا يتطلب سنّ التشريعات و تطبيقها لحماية الإنتاج الفكري.

- البيئة الجامعية، فمن الضروري توافر بيئة علمية مناسبة للباحث لاعتبار عمله البحثي جزءً ا من عطائه الجامعي.
- المراجع العلمية و مصادر المعرفة التي نعاني من ندرتها و قلتها في المكتبات العربية، مما يشكّل عقبة رئيسية في القيام بالبحث العلمي الجادّ و المتميز. **(منير الحمزة، 2011، ص 112.)**

إنّ البحث العلمي في العلوم الاجتماعية يهدف إلى الحصول على المعرفة بغية خدمة أغراض اجتماعية، فهو ينطلق أساسا من مشاكل اجتماعية واقعية كالانحراف، الطلاق، العنف ...وفي المقابل فإنّ البحث في العلوم الطبيعية يهدف إلى الحصول على المعرفة للكشف عن أسرار الطبيعة و فهم العالم على حقيقته. و المهمّ أنّ العامل المشترك بين جميع البحوث يتمثّل في استخدامها للمنهج العلمي. و عموما فإنّ للبحث العلمي أهدافا عديدة و متنوعة و مختلفة، و لقد حاول العلماء تحديدها في عدّة قضايا نذكر منها :الوصف، التفسير، الوصول إلى معارف و حقائق جديدة، التنبؤ، التحكم، التطبيق العملي، حلّ المشاكل الإنسانية و العلمية.

5. مراحل إعداد البحث العلمي:

إن تصميم البحث عملية كبرى ومسيرة منهجية على جانب كبير من الأهمية،و تتكون من مراحل محددة تتبع كل منها الأخرى في تسلسل منطقي مضبوط ينظمه التفكير السليم بهدف معالجة الظواهر التي تحتاج لبحث مستفيض أو معرفة أبعادها وأسباب حدوثها، وبيان السُبل

الكفيلة بمعالجتها، هذا وعلى الباحث أن يراعي في تصميم البحث طبيعة المشكلة، و الوقت الكافي لمعالجتها وفق منهجية علمية بهدف الوصول إلى تصميم فعال و شمولي للبحث المراد إنجازه، ويتم ما ذكرناه عبر مراحل تتناول تحديد المشكلة و وضع الفروض بهدف اختبارها، و تحديد المادة العلمية و إعدادها و تحليلها، وهكذا تتمثل أهم مراحل إعداد البحث العلمي في الآتي: **(رجاء وحيد دويدري 2008 :، ص41)**

1.تحديد مشكلة البحث وبيان أبعادها : بعد أن يتم اختيار المشكلة يبدأ الباحث بتحديدها وبيان حدودها ومن ثم عرضها، وهو أمر ليس سهلا؛ بل هو أدق وأصعب مرحل البحث العلمي، ونعني بتحديد المشكلة وصياغتها في عبارات واضحة ومفهومة ومحددة، تعبر عن مضمون المشكلة، طبيعتها ومادتها الأساسية، مما يرشد الباحث إلى مصادر تساعده في معالجتها، وهذا يعطي نصف الحل في وضوح واكتمال؛ بحيث لا يكون هناك أي لُبس فيما يتعلق بموضوع الدراسة. **(محمد عبد العال النعيمي، عبد الجبار توفيق البياتي، غازي جمال خليفة 2009 ، ص4)**

وهناك طريقتان لصياغتها :إما أن تُصاغ بعبارة لفظية تقديرية، أو تُصاغ بسؤال أو أكثر وهو الأفضل من الناحية العلمية، ولكي يسهل ذلك على الباحث أن يقف على الأسباب التي أدت إلى وجود المشكلة و الأبعاد المكونة لها، وللوقوف عليها يجب ان يتم نوع من التعاون بين الباحث وبين من لهم خبرة وتخصص في مجال المشكلة، وعلى الباحث أن يحصل على إجابات علمية ومقنعة على عدد من الأسئلة النظرية التي ترتبط بموضوع المشكلة، تاريخ

ظهورها ومدى تطورها، أو سبق أن درسها باحثون آخرون، و القراءة التحليلية لهذه الدراسات تبين للباحث مدى إمكانية القيام بدراستها بمنهج علمي و الجوانب التي لم تُدرس، و الأبعاد التي تتطلب اهتمامات أكثر، بحيث تصبح نقطة البدء في البحث، وتميز نقاط الضعف والقوة من حيث الإطار النظري أو المنهج المتبع، خاصة إذا أدى بحثه إلى تعديل هذا الإطار وفق مستجدات البيئة.

أما أبعاد المشكلة أو حدودها فيأتي تعيينها بعد أن يقوم الباحث بكتابة مقدمة بحثه، وتحديد دقيق لمشكلة البحث، ويُقصد من أبعاد المشكلة تعيين جوانبها ومجالاتها، بهدف المزيد من التحديد، والتوجه نحو الفرض الرئيسي للمشكلة؛ مما يعمل على جعل اهتمامات الباحث مركزة على محور المشكلة بعد وضع حدودها. **(رجاء وحيد دويدري 2000 ، ص412)**

2. وضع الفروض :ذهبت الكثير من التعريفات إلى أن الفرض عبارة عن قضية احتمالية تقرر مدى العلاقة بين متغيرين أو أكثر، ولا يخرج عن كونه نوعا من الحدس أو التخمين القائم على التفسير المؤقت أو الاحتمالي للظواهر أو الوقائع المبحوثة **(سلاطنية بلقاسم، حسان الجيلاني، 2009، ص157)**

فهو يعبر عن :المسببات والأبعاد التي أدت إلى المشكلة، والتي تم تحديدها بوضوح، وقد ذكرنا في موضع آخر بأن مشكلة البحث تصاغ بشكل سؤال أو أكثر من سؤال وحل بهذه المشكلة هي الإجابة عن أسئلة الدراسة، هذه الإجابة هي ما نسميه فروضا، وهي جهد أساسي لكل باحث علمي. **(أحمد أوزي 2008 ، ص 17)**

يتم وضع الفروض بعد أن يكون الباحث قد استند إلى مصادرها وهي:

- البحوث و الدراسات والنظريات السابقة التي تعرضت إلى موضوع البحث.
- الملاحظات العامة التي تجمع وتتعلق بموضوع البحث.
- البيانات والإحصاءات التي تم جمعها حول موضوع البحث.

وهناك ثلاث أسس يعتمد عليها بناء الفروض هي:

المعرفة الواسعة :حول موضوع المشكلة، وما يتصل بها من موضوعات.

التخيل :ويعني هذا أن تكون عقلية الباحث قادرة على تصور الأمور وبناء علاقات يُخضعها للتجريب.

الجهد المبذول :سواء بالمناقشة مع الآخرين أو استخدام الاستخبارات و القياس في عملية بناء الفروض.

منهج وأدوات البحث :ينبغي على الباحث المبتدئ عدم الخلط بين منهج البحث وأدواته، فمفهوم المنهج أعم بكثير من مفهوم الأدوات، فهذه الأخيرة تندرج في إطار المنهج الذي يغطيها.

المبحث الثاني: مناهج البحث العلمي

1.المنهج الوصفي:

1.1.تعريفه: الوصف لغة هو نقل صورة العالم الخارجي أو العالم الداخلي من خلال الألفاظ و العبارات و التشابه و الاستعارات التي تقوم مقام الألوان لدى الرسام، و النغم لدى الموسيقي. **(عبد النور جبور، 1984،ص292)** .

أمّا الوصف العلمي فيذكر خصائص ما هو كائن، و يفسّره و يحدّد الظروف و العلاقات التي توجد بين الوقائع، وكذلك الممارسات الشائعة أو السائدة و التعرّف على المعتقدات و الاتجاهات عند الأفراد والجماعات وطرائقها في النموّ والتطوّر **(جابر عبد الحميد جابر و اخرون، 2002، ص 134).**

وعلى ضوء هذا التحديد اللفظي للوصف، يندرج المنهج الوصفي ضمن أهمّ المناهج في العلوم الاجتماعية، فهو من أكثر المناهج استعمالا من طرف الباحثين و الطلاب في أغلب الأبحاث والدراسات الخاصة بالعلوم الإنسانية و الاجتماعية.

فالمنهج الوصفي هو طريقة لوصف الظواهر المدروسة و تصويرها كمّيّا عن طريق جمع معلومات مقنّنة عن المشكلة وتصنيفها وتحليلها و إخضاعها للدراسة الدقيقة.

حيث يقوم هذا المنهج على و صف البيانات و الخصائص المتعلّقة بالظاهرة المدروسة، كما يضع إجابات للتساؤلات التي يطرحها البحث و التي تبدأ بمن أو كيف أو أين وغيرها .أمّا أساس المنهج الوصفي فيقوم على أساس عرض و دراسة البيانات الإحصائية كمقاييس النزعة المركزية، وهو يعتبر من أكثر مناهج البحث استخداما من قبل الباحثين، كما يساعد في التعرّف على أسباب حدوث مشكلة البحث.

2.1. أنواع الدراسات الوصفية:

- **الدراسات المسحيّة:** وهي التي تحاول تحليل وتفسير وعرض واقع الظاهرة المدروسة أو تحليل محتوى الوثائق للوصول إلى نتائج أو تعميمات تتعلّق بالواقع، ومن أنواع هذه الدراسات المسح المدرسي، دراسات الرأي العام و تحليل المضمون.

- **دراسة العلاقات** :و هي التي تقوم على وصف العلاقات بين الظواهر و العوامل الخارجية المرتبطة بها مثل دراسة الحالة.

- **الدراسات الارتباطية:** تقوم على توضيح العلاقات بين متغيرات الدراسة، بهدف تحديد درجة الارتباط بين المتغيرات و عرضها بطريقة رقمية، حيث تتراوح درجات الارتباط ما بين−1، +1.

- **الدراسات التطويرية** تقوم على دراسة التغيرات التي تحدث في بعض المتغيرات من خلال قياس المتغير موضوع الدراسة.

وعلى هذا الأساس، يعتبر المنهج الوصفي طريقة منتظمة لدراسة حقائق راهنة، متعلّقة بظاهرة أو موقف أو أفراد أو أحداث أو أوضاع معيّنة، بهدف اكتشاف حقائق جديدة أو التحقّق من صحة حقائق سابقة أو قديمة وآثارها والعلاقات التي تتصل بها و الكشف عن الجوانب التي تحكمها . **(خاطر أحمد مصطفى، 2001،ص 278.)**

وعليه فإنّ المنهج الوصفي لا يقتصر على الوصف الدقيق للظاهرة المدروسة فحسب، بل يتعدّى بعد عملية وصف الظاهرة و جمع البيانات عنها و وصف الظروف و الممارسات

المختلفة، إلى تحليل هذه البيانات و استخراج الاستنتاجات، و مقارنة المعطيات، ثمّ التوصل إلى نتائج يمكن تعميمها في إطار معيّن. **(إحسان محمد حسن،1982، ص 157.)**

لذلك يُعدّ المنهج الوصفي أسلوب أو طريقة لدراسة الظواهر الاجتماعية بشكل علمي منظّم من أجل الوصول إلى أغراض محدّدة لوضعية معيّنة اجتماعية أو مشكلة أو سكان معيّنين وللدراسات الوصفية عدّة **أهداف** تتلخّص في:

- جمع معلومات حقيقية ومفصّلة لظاهرة موجودة فعلا في مجتمع معين.
- تحديد المشاكل الموجودة أو توضيح بعض الظواهر.
- إجراء مقارنة وتقييم لبعض الظواهر.
- تحديد ما يفعله الأفراد في مشكلة ما والاستفادة من آ رائهم و خبراتهم في وضع تصورات وخطط مستقبلية و انجاز قرارات مناسبة في مشاكل ذات طبيعة مشابهة.
- إيجاد العلاقة بين الظواهر المختلفة .
- تقرير حقائق قائمة لموضوع أو ظاهرة معيّنة.
- التعرّف على العوامل المختلفة المسؤولة عن انتشار الظاهرة خلال مرحلة معيّنة.**(عبد الباسط عبد المعطي،1997، ص 141.)**

ووفقا لهذه الأهداف، تستند البحوث الوصفية إلى **أسس منهجية** أهمّها التجريد والتعميم، فالتجريد هو عملية عزل و انتقاء مظاهر معيّنة كجزء من عملية تقويمية أو توصيلية إلى الآخرين . فلا تعارض بين التجريد وبين كون المواقف الاجتماعية أكثر تعقيدا من المواقف

الفيزيائية . فالظواهر الفيزيائية من حيث البساطة و التعقيد مثل الظواهر الاجتماعية بحاجة إلى منهج علمي دقيق و أدوات قياس مناسبة .كما أنه لا يوجد تعارض بين التجريد و كون كلّ واقعة اجتماعية منفردة، لأنّ تفرّد الحادثة الاجتماعية هو تميّز في الكمّ والكيف، أي أنه لا يمكننا الفصل بين خصائص الحادثة الاجتماعية والتجريد. وبالنسبة للتعميم فيظهر في إمكانية استخلاص حكم أو أحكام تصدق على فئة معيّنة منها، وقد يكون التعميم شاملا فيسبق بكلمة" كلّ "أو" جميع "أو" لا واحد"، وقد يكون جزئيا، فيسبق بكلمة بعض.

وبالتعميم نصل بما استقرأناه إلى ما لم نستقرئه . **(صلاح الدين شروخ، 2003، ص ص 151،152.)**

ممّا سبق نصل إلى أنه لا غنى عن البحث الوصفي في العلوم السلوكية ككلّ، لأنه يحقّق هدفين أساسيين، هما : تزويد العاملين في المجالات الاجتماعية بمعلومات حقيقية عن الوضع الراهن للظواهر المدروسة، وهدف علمي يتجلّى في أنّ هذه الدراسات تقوم بجمع الحقائق و التعميمات، ممّا يزيد في الرصيد المعرفي اللازم لفهم الظواهر و التنبّؤ بها. **(جابر عبد الحميد وآخرون، 2002، ص 187.)**

وبناءً على الأسس المنهجية للبحث أو المنهج الوصفي تتّضح **خطواته** في:

- تحديد مشكلة البحث وجمع المعلومات عنها.
- صياغة مشكلة البحث.

- وضع الفرضيات كحلول مؤقتة أو مبدئية للمشكلة، بحيث توجّه الباحث نحو اختيار هذه الحلول.
- اختيار العينة التي ستجرى عليها الدراسة مع توضيح حجم العينة وأسلوب اختيارها، حيث يختار الباحث أدوات البحث التي يستخدمها في الحصول على المعلومات كالاستبيان و المقابلة أو إجراء الاختبارات أو الملاحظة و ذلك وفقا لطبيعة مشكلة البحث.
- القيام بجمع المعلومات بطريقة دقيقة ومنظّمة.
- الوصول إلى النتائج وتفسيرها و استخلاص التعميمات. **(صلاح الدين شروخ، 2003، ص154.)**

إنّ المطلب الأول لتطبيق المنهج الوصفي هو تحديد طائفة بسيطة من الظواهر الاجتماعية كموضوع للبحث، وتعدّ هذه الظواهر بالنسبة للموضوع المدروس أبسط وحدة يتألف منها، فنحن عندما نبدأ بوصف أبسط الوحدات التي تتألّف منها الظواهر المدروسة، نستطيع بعد ذلك أن نُقدم عن طريق البحث على تحليل المركّبات الأكبر تعقيدا .وهكذا تكون الخطوة الأولى في الدراسة الوصفية هي اختيار الوحدة الاجتماعية الأولية أو الأساسية في الموضوع المدروس .

وتتمثّل الخطوة الثانية في اكتشاف الطريقة الملائمة للقياس الكمّي لمختلف عناصر ومكوّنات وحدة الدراسة، ذلك أنّ وحدة الدراسة الوصفية في مرحلة نشأتها كانت مرتبطة بالتحليل الكمّي، ويتجلّى ذلك بوضوح خاصة في أعمال" **لوبلاي play le** "الذي اعتقد أنه بدون المعالجة الكمّيّة، ستكون الدراسة غامضة و غير مؤكّدة، و كذا الأمر بالنسبة للنتائج، فلن تكون على درجة عالية من الدقة . لقد استطاع" **لوبلاي** "في دراسته أن يجد حلّا لهاتين المشكلتين حين اعتبر الأسرة هي الوحدة الأساسية للدراسة ، فاستخدم ميزانية الأسرة بوصفها التعبير الكمّي عن الحياة الأسرية، وهي بالتالي الأساس للتحليل الكمّي للظواهر الاجتماعية. **(جازية كيران، ص ص 28،29.)**

وعلى العموم هناك شبه اتفاق بين العلماء على مراحل المنهج الوصفي، فيقسّمونها إلى مرحلتين:

أ – **مرحلة الاستكشاف والصياغة :** وفيها يتمّ استطلاع مجال محدّد للبحث وتحديد المفاهيم والأولويات وجمع معلومات لإجراء بحث عن مواقف الحياة. **(عمار بوحوش، محمد محمود ذنيبات،ص 142.)**

تستند الدراسات الكشفية على إجراءات منهجية محدّدة و معروفة، وهي إجراءات ليست مستقلّة أو منعزلة بعضها عن بعض، ولكنها تتكامل في وحدة منهجية لتحقيق أهداف الدراسة الاستطلاعية .وإذا كانت هذه الدراسات تمثّل نقطة البداية في البحث العلمي، فإنّ البداية دائما هي أهمّ الخطوات، إذ يتوقّف على نجاحها استمرار عملية البحث. و مهما بلغت

دقة المناهج و الإجراءات التي يصطنعها الباحث في مراحل لاحقة، ستكون عديمة القيمة إذا كانت البداية غير صحيحة أو ليست ملائمة . وتضمّ إجراءات الدراسة الكشفية تلخيص تراث العلوم الاجتماعية و الميادين المختلفة المتّصلة بمشكلة البحث مع استشارة الأفراد ذوي الخبرة العلمية بالمشكلة المراد دراستها.**(محمد علي محمد، 1986، ص ص 185، 186.)**

ب- مرحلة التشخيص والوصف المعمق وفيها تُحدّد الخصائص المختلفة، وتجمع المعلومات بوصف دقيق لجميع جوانب الموضوع المبحوث، بما يسمح بالتشخيص الدقيق لدوافع الموضوع، دون الانطلاق من فروض مسبقة .فنحن نستطيع تصوير الخصائص الاجتماعية لقرية من القرى حينما نحصل على كافة البيانات المتاحة عنها مثل توزيع السن و الديانات ، نسبة التعليم ، الحالة الزوجية و التركيب المهني ...حيث يطلق على هذا النوع من الدراسات مصطلح البحوث الوصفية التشخيصية، ذلك أنها جميعا تشترك في عدم وجود فروض مبدئية أو قضايا عامّة تُوجّه الباحث نحو فحص العلاقة الارتباطية بين متغيّرين و عليه يمكن استخلاص الأسلوب المتّبع في المنهج الوصفي حسب المراحل الآتية:

- **المرحلة الأولى** والتي تتمثّل في تلخيص التراث النظري من علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي وديناميات الجماعة و العلوم السلوكية، إدارة الأفراد و أهمّ النظريات التي وضعت حول الجماعات الصغيرة و تفاعلها بالتنظيم.

- **المرحلة الثانية** هي الجانب الميداني، أي مشكلة البحث كما يراها المبحوثون وتتمثّل على الأغلب في الاستمارة التي تضمّ العديد من الأسئلة لاستيضاح مشكلة البحث من خلال الذين يعيشونها.
- **المرحلة الثالثة** تتمثّل في تحليل الحالات التي تزيد من توضيح المشكلة وتُلقي مزيدا من الضوء عليها، حيث يتمثّل هذا التحليل خاصة في محاولة شرح الأعداد الكمية إلى تحليل لفظي، وصفي، معبّر عن أبعاد الظاهرة من جميع جوانبها وتحليل الجداول الإحصائية تحليلا منطقيا وموضوعيا إلى حدّ ما.

وعلى الرغم من أهميّة المنهج الوصفي و دوره في تطوير البحوث خاصّة في العلوم الاجتماعية، إلّا أنه يقتصر على الوصف الشكلي للظاهرة و لا يحاول أن يتعمّق إلى ماوراء الشكل .كما أنّ استخدام المنهج الوصفي في التحليل الكمّي و التحليل الإحصائي يؤدّي إلى التركيز على الجانب المادّي للظاهرة، في حين أنّ للظاهرة الإنسانية جانبًا معنويا، و هو الجانب المفعم بالحيوية الذي لا يمكن قياسه قياسًا كميا .كذلك أنّ البيانات الكمّيّة المجمّعة يجب التعامل معها بحذر درءًا لإمكانية التحريف أو الحذف أو التحيّز.(**مصباح عامر، 2017،ص 92.)**

2. المنهج التجريبي:

إنّ المنهج التجريبي في دراسته و تحليلاته للظواهر الطبيعية والإنسانية يشترك مع غيره من مناهج البحث العلمي الأخرى في إجراء التجارب على الظواهر و الوقائع وعينات الدراسة للتأكد من حقيقة الظاهرة أو لإثبات صحة الفرضية أو الحصول على النتائج.

1.2. تعريفه: يعُرف المنهج التجريبي على أنّه:

- أسلوب تجريبي يتعلّق بإدخال سبب أو عامل على حركة ظاهرة للحصول على نتائج معيّنة تأكيد فروض محدّدة.
- أسلوب تجريبي يتعلّق بإحداث تغيير مضبوط على ظاهرة موضوع الدراسة و ملاحظة ما ينتج عن هذا التغيير من آثار.
- أسلوب تجريبي يتعلّق باستخدام إجراءات وتدابير ومتغيرات مؤثرة لمعرفة مدى تأثيرها على واقع معيّن أو ظاهرة محدّدة.
- أسلوب يتعلّق بإجراء تجارب لمعرفة العلاقة بين عاملين أحدهما يسمى عامل تجريبي مستقلّ وآخر يسمى عامل تابع.
- أسلوب يتعلّق بإجراء تجربة لقياس أثر أحد المتغيّرات المستقلة على متغيّر تابع آخر.

(غازي عناية، 2014، ص 38.)

ومن المستلزمات الأساسية للمنهج التجريبي:

- **الظاهرة موضوع الدراسة** :المشكلة.
- **العامل التجريبي المستقلّ** :الذي يستخدم كمؤثّر في العامل التابع.

- **العامل التابع المؤثر فيه** :التابع للعامل المستقلّ التجريبي.
- **الفرضية** :أي النتيجة المفترضة من استخدام العامل التجريبي المستقلّ .
- **العوامل الأخرى** :التي يمكن أن تؤثّر في العامل التابع إلى جانب العامل المستقلّ.
- **عينات الدراسة أي محلّ الظاهرة** :أصحاب الظاهرة.
- **زمن ومكان التجربة.**

وبصفة عامّة تتمثّل المستلزمات الأساسية للبحث التجريبي في استخدام أسلوب التجربة وضبط إجراءاتها لإثبات الفروض و باستخدام العامل التجريبي مع ضبط تأثير العوامل الأخرى.

2.2.أسس منهج البحث التجريبي:

تتمثّل أسس المنهج التجريبي في:

– إذا كان لدينا موقفان متشابهان(أ،ب)وأدخلنا عاملا جديدا(ج)على الموقف(أ)، فإنّ الفروق بين(أ،ب)، تكون ناتجة عن العامل الجديد(ج.).

– وإذا كان لدينا موقفان متشابهان(س،ع) و حذفنا عاملا من العوامل المكوّنة للموقف الأول، فإنّ الفروق بين(س،ع) تعود ناتجة عن حذف هذا العامل. **(ذوقان عبيدات، 2001، ص 239)**

وإذا أخذنا مثالًا آخر عن علاقة تعاطي الجنس المحرّم بمرض الإيدز:

- نقوم بفحص الأفراد قبل إصابتهم بمرض الإيدز وقبل تعاطيهم الجنس المحرّم.

- نقوم بفحص الأفراد بعد إصابتهم بمرض الإيدز وبعد تعاطيهم الجنس المحرّم.

فإذا ثبتت العلاقة الوثيقة بينهما، فإنّ ذلك يعني أنّ الجنس المحرّم هو العامل المستقلّ المؤثّر في العامل التابع، وهو الإصابة بمرض الإيدز. **(ذوقان عبيدات، 2001، ص44.)**

يعتبر المنهج التجريبي من أدقّ المناهج وأكثرها وضوحً ا في بحوث العلوم الطبيعية، وتكمن **أهميته** في كونه لا يقتصر على مجرّد وصف الظواهر التي تتناولها الدراسة كما يحدث عادة في البحوث الوصفية، ولا يقتصر على مجرّد التأريخ لواقعة معيّنة من الماضي، و إنما يدرس متغيرات الظواهر و يتحكّم فيها للوصول إلى العلاقات السببيّة بين هذه المتغيرّات و المتغيرّات الثابتة في الظاهرة المدروسة.

ويقوم هذا المنهج على أساس منهج البحث العلمي القائم على الملاحظة والفرضية والتجربة الدقيقة المضبوطة، وهذا ما يميّزه خاصّة عن المنهج الوصفي في كيفية ضبط المتغيرات، لذلك فإنّ البحث التجريبي يرتبط بفكرة قانون المتغيّر الواحد، حيث يتضمّن محاولة ضبط كلّ العوامل الأساسية المؤثّرة في المتغيّر أو المتغيرات التابعة في التجربة، لأنّ البحث التجريبي هو ذلك النوع من البحوث الذي يستخدم التجربة في اختيار فرض معيّن يقرّر العلاقة بين عاملين أو متغيّرين عن طريق الدراسة للمواقف المتقابلة التي تضبط كلّ المتغيرات، ما عدا المتغيّر الذي يهتمّ الباحث بدراسة تأثيره.

وعليه فإنّ البحث التجريبي يقوم أساسا على أسلوب التجربة العلمية التي تكشف عن العلاقات السببيّة بين المتغيرات المختلفة التي تتفاعل مع الديناميّات أو القوى التي تحدث

في الموقف التجريبي. وكما سبق فإنّ البحث التجريبي يرتبط بقانون المتغيّر الواحد، حيث يتلخّص هذا القانون في أنّه إذا كان هناك موقفان متشابهان تماما من جميع النواحي، ثمّ أُضيف عنصر معيّن إلى أحد الموقفين دون الآخر، فإنّ أيّ تغيّر أو اختلاف يظهر بعد ذلك بين الموقفين يُعزى إلى وجود هذا العنصر المضاف، وكذلك في حالة تشابه الموقفين وحذف عنصر معيّن من أحدهما دون الآخر، فإنّ أيّ اختلاف أو تغيّر يظهر بين الموقفين يُعزى إلى غياب هذا العنصر .ويسمى المتغيّر الذي يتحكّم فيه الباحث عن قصد في التجربة بطريقة معيّنة ومنظّمة بالمتغيّر المستقلّ أو المتغيّر التجريبي، أمّا نوع الفعل أو السلوك الناتج عن المتغيّر المستقلّ فيسمّى بالمتغيّر التابع، وعليه تتضمّن التجربة على الأقلّ في أبسط صورها متغيرا تجريبيا ومتغيرا تابعا، ويمكن أن تشمل التجربة أكثر من متغيّر. **(طلعت همام، 1998، ص ص 199، 200.)**

وعموما يتمّ التجريب بناءً على تصميم مسبق للتجربة، لذلك توجد طرائق متعدّدة في هذا المجال، من أشهرها طرائق المجموعة الواحدة، طرق المجموعات المتكافئة و طرق تدوير المجموعات أو الطرق التبادلية.

- **طرق المجموعة الواحدة** :تطبّق هذه الطرق على مجموعة واحدة من الأفراد، كمقارنة تحصيل طلّاب قسم دراسي في ظلّ ظروف معيّنة بتحصيلهم في ظلّ ظروف أخرى لتكون الخطوات المتّبعة كالآتي:
- اختبار قبلي للمجموعة(قبل إدخال المتغيّر المستقلّ.)

- استخدام المتغيّر المستقلّ تبعا لمخطّط الباحث.
- اختبار بعدي للمتغيّر التابع.
- حساب الفرق بين القياسين القبلي و التبعي، ثمّ اختبار دلالة هذا الفرق إحصائيا.
- **طُرق المجموعات المتكافئة** يكون بتصميم التجربة، وذلك بأخذ مجموعتين، واحدة ضابطة والأخرى تجريبية ♣ ، متساويتان ومتكافئتان. و للتأكّد من تكافؤ المجموعتين، تستخدم متوسّطات المجموعات التجريبية، و الضابطة و انحرافاتها المعياريّة للمتغيرات المؤثرة.
- **طرق تدوير المجموعات** :ويكون ذلك بتدوير نظام الإجراءات أو المجموعات، فإن طبقت على مجموعة واحدة، فإنها تستلزم تغيير وقت تتابع الوحدات الضابطة و التجريبية، ففي الدورة الأولى نبدأ بالطريقة الضابطة ثم التجريبية، وفي الثانية نبدأ بالتجريبية ثمّ الضابطة، و يمكن تطبيق ذلك في المجموعتين المتكافئتين.

وللوصول إلى القانون العلمي يشترط ما يلي: **(شروط التجريب الجيّد)**

وضوح ودقّة الفرضيات في ذهن الباحث.

- التطبيق الدقيق للاختبارات التجريبية للفروض.
- ملاحظة التجربة ملاحظة دقيقة جدّا وبموضوعية وايجابية فاحصة.
- تأمين احتياجات التجربة من أجهزة القياس والملاحظة.

♣ المجموعة الضابطة هي المجموعة التي لا تتعرّض لأثر المتغيّر المستقلّ أو التجريبي، والمجموعة التجريبية هي التي تخضع لتأثير المتغيّر المستقلّ.

- تكرار التجربة يسمح بتعميم النتائج.
- إذا تعذّر إجراء التجربة مباشرة أو كان الإجراء مستحيلا، فمن الضروري أن يلجأ الباحث إلى التجربة البديلة، فيعتمد على الإحصائيات و البيانات و تحليلها. **(صلاح الدين شروخ، 2003، ص120-122)**

إنّ أهمّ واجب على الباحث في المنهج التجريبي هو ضبط التجربة من خلال ضبط جميع العوامل التي تؤثّر في المتغيّر التابع(النتيجة)، فإذا لم يتعرّف عليها ويضبطها لا يمكنه بأيّ حال تحديد العامل المستقلّ(السبب)، فالمتغيّر المستقلّ أو التجريبي هو العامل الذي نريد أن نقيس مدى تأثيره على الموقف، والمتغيّر التابع(وهو المتغيّر الناتج)هو العامل الذي ينتج عن تأثير العامل المستقلّ. ولا يختلف المنهج التجريبي في **خطواته** عن بقية المناهج الأخرى، فهو يبدأ بملاحظة الظاهرة موضوع البحث ووضع الفروض ثمّ القيام بالتجربة ومحاولة الوصول إلى معرفة العلاقات الموجودة بين الظواهر و اكتشاف القوانين التي تحكمها، ويمكن عرض هذه الخطوات كما يلي:

- التعرف على مشكلة البحث وتحديد معالمها.
- صياغة الفرضيات واستنباط ما يترتّب عليها.
- وضع تصميم تج ريبي يحتوي على جمع النتائج و علاقاتها و شروطها.

ويترتب على **الباحث** أن يقوم باختيار عيّنة ممثّلة لمجتمع الدراسة، تصنيف المفحوصين في مجموعات متجانسة، تحديد العوامل الغير تجريبية وضبطها، تحديد الوسائل و المتطلبات

الخاصة بقياس نتائج التجربة و التأكّد من صحّتها، تعيين مكان التجربة و وقت إجرائها و الفترة التي تستغرقها. (عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات، 1999، ص 110، 111)

3. منهج دراسة الحالة:

1.3.تعريفه: هو المنهج المعتمد على دراسة حالة معيّنة بهدف جمع معلومات متعمّقة عنها، وهو مفيد في إعطاء معلومات لا يمكن الحصول عليها بأساليب أخرى، خاصّة إذا كان استخدام هذا المنهج في دراسة حالة معاصرة ضمن سياق الحياة الواقعية .ويفضَّل استخدامه عندما تكون هناك رغبة في دراسة حالة تحتوي على العديد من المتغيرات و العوامل المرتبطة مع بعضها البعض و التي يمكن ملاحظتها.

فمنهج دراسة الحالة يقوم على التعمّق في دراسة مرحلة معيّنة من تاريخ حياة الوحدة موضوع الدراسة أو دراسة جميع المراحل التي مرّت بها، بغرض الكشف عن العوامل التي تؤثّر في الوحدة المدروسة و عن العلاقات السببيّة بين أجزاء هذه الوحدة.

ولقد انتشر استخدام منهج دراسة الحالة في مجال البحث الاجتماعي عندما ساءت ظروف العمل وظهرت الآثار الاجتماعية السيئة نتيجة التوسّع الصناعي في ظروف الحياة العمّاليّة . وعادة ما يُطبَّق هذا المنهج على الأسرة و في ميادين العمل المختلفة، وبصفة خاصّة على مؤسّسة أو هيئة اجتماعية، حيث يقوم الباحث الاجتماعي بأخذ عيّنات تمثّل الطبقة التي يقوم بدراستها، ثمّ يُجري البحث على هذه الحالات المختارة لتعميم نتائجها على المجموعة كلّها.

وتشير العيّنة الاحتمالية إلى الطريقة التي يتمّ بها اختيار مجموعة فرعيّة من وحدات أكثر اتّساعًا، بحيث يكون لكلّ وحدة و وحدة فرعيّة فرصة الاختيار ضمن العيّنة.

2.3. طرق استخدام منهج دراسة الحالة:

هناك **طريقتان** تُستخدمان في دراسة الحالة، تاريخ الحالة و التاريخ الشخصي للحالة، حيث يشمل **تاريخ الحالة** قصّة تطوّرها فيحصل الباحث على بيانات من مصادر متعدّدة مثل الأسرة و المدرسة، ويستعين بكلّ الوثائق و السجلّات المتاحة التي يمكن أن تتضمّن بيانات من هذا النوع . أمّا **التاريخ الشخصي للحالة** فهو صورة من صور تاريخ الحالة يعرض فيه الباحث الحوادث التي مرّت بالمبحوث من وجهة نظره. وهذا يعني أنّ تاريخ الحالة يهتمّ بمدى صدق البيانات، أمّا التاريخ الشخصي للحالة فيركّز على عرض حياة الفرد من وجهة نظره الخاصّة.

حياة الفرد من وجهة نظره الخاصّة. وليست هناك قواعد محدّدة يهتدي إليها الباحث في اختيار الحالات للدراسة، ولكن يمكن القول بصفة عامّة أنّ النتيجة تكون صحيحة إذا كانت العيّنة عشوائية وكبيرة إلى حدّ ما، فكلّما ا زد عدد أف ا رد العيّنة ك لّما كانت النتائج أكثر دقّة وصحّة، إضافة إلى وجود درجة من التجانس للوحدات المختارة للبحث. وتتميّز الدراسة باستخدام هذا المنهج عن الحصر الشامل بالآتي:

– استخدام العيّنة يوفّر جزءًا من التكاليف والجهد والوقت، حيث أنّنا نستخدم جزءًا من المجتمع لا كلّه.

– يمكن الحصول على الردود الكاملة الدقيقة إذا استخدمنا جزءًا من المجتمع كلّه، ممّا يسمح بمتابعة عدد الأفراد عن طريق الزيارات الشخصية.

– يمكن الحصول من أفراد العيّنة على بيانات أكثر ممّا نستطيع الحصول عليه من أفراد المجتمع كلّه، وبذلك نستطيع توسيع مجال البحث.

– تحليل نتائج الحصر الشامل يحتاج إلى وقت طويل ممّا يُنقص الاستفادة من البحث، بينما العيّنة نصل إلى تحليل نتائجها في وقت سريع بما يحقّق الاستفادة منها.

– تَحدث بعض الأخطاء في الحصر الشامل، إذ أنّ ظروف التعدادات قد تؤدّي إلى حذف بعض الوحدات، ولذلك يُستحسن قياس دقّتها بالعيّنة.

أمّا **مصادر المعلومات** فعادة ما يلجأ الباحث إلى الحالة نفسها كما كان يفعل **فرويد** أثناء دراسته لمرضاه، حيث كان يطلب منهم استرجاع ذكرياتهم وخبراتهم الماضية، وكان يلجأ أحيانا إلى التنويم المغناطيسي، فيكشف الأفراد عن الكثير من المعلومات المتعلّقة بحياتهم، فيجمعها ويستفيد منها في نتائجه. كما يستفيد الباحث في دراسة الحالة من كلّ الوثائق الشخصيّة و العامّة، كالسير الذاتية و المذكرات وغيرها من التقارير الأخرى التي تُلقي مزيدًا من الضوء على الحالة وتُعمّق البحث فيها.

ولقد استخدم العالم الفرنسي **فريديريك لوبلاي** هذا المنهج في دراسته للأسرة، واتّخذها كوحدة لقياس مستوى حياة العمّال .كما طبّق هذا المنهج في دراسة مدينة Middletown بالولايات

المتّحدة الأمريكية، إذ دُرست حالة المدينة من جميع نواحيها لمعرفة درجة التغيّر التي حدثت على مؤسّساتها الاجتماعية و عادات السكان و اتّجاهاتهم خلال تلك المدّة.

ولقد تتعدّدت مفاهيم دراسة الحالة، فبعضهم يمثّلها بالدراسة التاريخية للحالة أو المجتمع، وبعضهم يفصل بينهما بسبب الفوارق المميّزة في خطوات الدراسة ، والبعض الآخر يجعل دراسة الحالة جزءًا من المنهج الوصفي، خاصة عند دراسة العلاقات المتبادلة، وفئة أخرى تراه منهجا متميزا لكونه يهدف إلى التعرّف على وضعية واحدة معيّنة و بطريقة تفصيلية دقيقة.

3.3. خطوات دراسة الحالة:

- تحديد الحالة المطلوب دراستها، أي اختيار الحالات التي تمثّل المشكلة المدروسة، بمعنى التركيز على حالات نموذجية أو عيّنات عشوائية من المشكلة، بحيث تكون العيّنة كافية وأن يقتصر الباحث على حالات قليلة و دقيقة من أجل دراستها بدقّة وشمول في آن واحد.
- جمع المعلومات وتدقيقها في ضوء فرضيّة أوّلية ثمّ التأكّد من صحّتها و صدقها بهدف تنظيمها او لتنسيق بين عناصرها.
- وضع الفرضيّات التي تفسّر المشكلة ونشأتها وتطوّرها، وهذا ما يسمّى بالتشخيص الأوّلي لعوامل المشكلة أو الذي يؤدّي إلى الاستنتاجات الدقيقة.

- اقتراح نوع المعاملة أو العلاج في ضوء شدّة الحالة وقسوتها و في ظروف بيئية تساعد على نجاح العلاج، وهذا يتطلّب تبصراً و فهمًا لديناميكية السلوك الإنسانيّ في الوضع الاجتماعي الذي تعمل فيه، لذلك فإنّ فعالية دراسة الحالة مرتبطة بالكفاءة التدريبية للباحث في مجال علم النفس و علم الاجتماع دون إغفال دراسة الحالة بالسرّيّة التامّة، فلا يطّلع على المعلومات الخاصة بالفرد(العميل) إلّا الشخص القائم بدراسة الحالة والأخصّائي.
- المتابعة و الاستمرار للتأكّد من صدق التشخيص و مدى مناسبته للعلاج.(**عمار بوحوش،محمد محمود ذنيبات،1999، ص ص 121، 122.)**

4.3. خصائص منهج دراسة الحالة:

- طريقة للحصول على معلومات شاملة من الحالات المدروسة.
- طريقة للتحليل الكيفي للظواهر والحالات.
- طريقة تتبّعية تعتمد اعتمادا كبيرا على عنصر الزمن، لذلك فهي تهتمّ بالدراسة التاريخية.
- منهج ديناميكي لا يقتصر على بحث الحالة الراهنة.
- منهج يسعى إلى تكامل المعرفة، لأنه يعتمد على أكثر من أداة للحصول على المعلومات.

وبناءً على هذه الخصائص، فإنّ منهج دراسة الحالة ينصبّ على الوحدات الاجتماعية سواء كانت كبيرة أو صغيرة، فالوحدة الصغيرة قد تكون جزءًا من دراسة إحدى الحالات، فإذا كان البحث مثلا ينصبّ على دراسة مجتمع محلّي، فإنّ هذا المجتمع قد يكون بمثابة الحالة، بينما تصبح الأنظمة الاجتماعية و الجماعات المكوّنة للمجتمع المحلّي وكذلك الأفراد بمثابة أجزاء أو موقف أو عوامل داخلة في تكوين الحالة. **(عبد الباقي زيدان، 1980، ص 270.)**

5.3. إيجابيات و عيوب منهج دراسة الحالة:

ومن **إيجابيات** هذا المنهج أنه يدرس الخبرات و المواقف الاجتماعية داخل السياق الذي لا تنفصل عنه هذه الخبرات و المواقف، و الذي يشكّل مكوّنات وجودها، ومن ثمّ يرتبط حاضرها بماضيها، فهو الوسيلة التي تمكّننا من فهم الخبرة الإنسانية الحقيقية و الاتجاهات التي تشكّل الواقع الاجتماعي بحيويّته و فعاليته الكاملة، فدراسة الحالة هي من أحد أساليب البحث الوصفي من خلال التحليل الاجتماعي للظاهرة المدروسة.

ومن **عيوبه** أنّ الباحث قد يلجأ إلى تفسير الحالة من وجهة نظره و وفقا لمشاعره الخاصة، فيصعب تحديد مدى صدق المعطيات وتفسيرها، كما يؤخذ على دراسة الحالة صفة التعميم من حالات لا تمثّل الواقع، ومثل هذه الحالات الشاذّة يمكن تفاديها عن طريق المقابلات المضبوطة و التسجيل الموحّد من جانب موحّد، مع الإشارة إلى أنّ هناك تكاليف باهضة لعملية إجراء المقابلات و استيفاء البيانات ، كما قد تبرز بعض الشكوك في صحّة البيانات

المعمّمة و خاصة إذا كانت البيانات غامضة و مبهمة، ممّا يضطّر الباحث أن يستغلّها لتحقيق أهداف شخصية أو يلجأ إلى التركيز على الجوانب التي تهمّه و يهمل الجوانب التي تتناقض ومعتقداته. **(غريب محمد سيد أحمد وناجي بدر إبراهيم، 1986، ص183.)**

4. المنهج التاريخي:

هو إعادة الماضي بواسطة جمع الأدلّة وتقويمها ومن ثمّ تمحيصها وتأليفها، ليتمّ عرض الحقائق عرضا صحيحا في مدلولاتها وفي تأليفها وللتوصّل إلى استنتاج النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة، فهو البحث الذي يصف ما مضى من وقائع أو أحداث الماضي و يدرسها ويفسّرها ويحلّلها على أسس علمية منهجية دقيقة، بقصد التوصّل إلى حقائق وتعميمات تساعدنا في فهم الحاضر على ضوء الماضي والتنبّؤ بالمستقبل.

1.4.تعريفه : يعرف النهج التاريخي على أنه:

- فهم الحاضر والتنبّؤ بالمستقبل من خلال دراسة الأحداث التاريخية الماضية و التطورات التي مرّت عليها.
- الأسلوب الذي يدرس الظواهر القديمة وتطوراتها، وذلك للربط بين الأسباب والنتائج.
- طريقة تقصّي الحقائق العلمية البشرية التاريخية للوصول إلى نتائج وقوانين وقواعد يمكن تعميمها واستخدامها للتنبّؤ المستقبلي ضمن السياق التاريخي.
- وسيلة جمع المعلومات التاريخية البشرية من المصادر الأولية أو الثانوية الداخلية والخارجية.

- الوسيلة التي يستخدمها الباحث للاستعانة بالوثائق و الآثار للتعرّف على الحضارات الإنسانية السابقة. **(Maurice Bouvier–Ajam, 1970,p 22.)**

وبناءً على هذا الطرح المفاهيمي، يعتقد روّاد هذا المنهج أنّ المناهج المستخدمة في العلوم الطبيعية لا يمكن تطبيقها على العلوم الاجتماعية، بسبب الفوارق العميقة بين العلوم الاجتماعية و العلوم الطبيعية، فالقوانين الفيزيقية أو قوانين الطبيعة صادقة في كلّ زمان ومكان، أمّا قوانين الحياة الاجتماعية فتختلف باختلاف المكان و الزمان، كذلك أنّ الأحداث الاجتماعية تعتمد في وقوعها على التاريخ، كما أنها تعتمد أيضا على الفوارق الحضارية، أي تعتمد على موقف تاريخي معيّن .ويعتقد **ريكمان** أنّ المدخل التاريخي يُستخدم في كلّ العلوم الإنسانية ويقدّم فائدة هائلة تعتمد عليها في أبحاثها.

بالنسبة لعلم الاجتماع، تمّ استخدام المنهج التاريخي باعتبار الظاهرة الاجتماعية حادثة تاريخية تستند إلى فرضية مؤدّاها أنّ معرفة الماضي تؤدّي بنا إلى معرفة الحاضر و التنبّؤ بما سوف يحدث في المستقبل، و قد استعان علماء الاجتماع بهذا المنهج لمعرفة النظم الاجتماعية و العادات و التقاليد في العصور القديمة، وذلك بتتبّع الظواهر الاجتماعية المبحوثة في نشأتها وتطوّرها، لأنّ الظواهر الاجتماعية هي من نتاج الماضي ومحصّلة عوامل عديدة تفاعلت مع مرور الزمن .كما أنّ دراسة الظواهر الاجتماعية في حالة الثبات فقط دون أن يوضع في الاعتبار التطورات المختلفة لكلّ ظاهرة عبر التاريخ، تعتبر دراسة غير كافية لأنها تفتقر إلى الدقّة و ينقصها الإطار الزمني الحقيقي، وبذلك يستطيع الباحث

الاجتماعي التعرّف على أصول المشكلة باعتبار أنّ هناك علاقة سببيّة بين الماضي والحاضر، لا من حيث كون الماضي أحداثا و وقائعا مفكّكة، بل من حيث أنماط الحياة السائدة و النظم الاجتماعية ذات الدلالة والمستوى الحضاري في كلّ حقبة من حقبات التاريخ.

وعلى هذا الأساس فإنّ التاريخ الذي نعنيه ليس مجرّد مجموعة من الأحداث، وليس مجرّد سرد لحياة الملوك أو الأمراء، كما أنه ليس تسلسلا للغزوات و المعارك، بل هو ترجمة لحياة الشعوب وتطوّرها الحضاري.

ويُعتبر الفيلسوف الإيطالي **جيوفاني باتيستا فيكو** مُبتدع المنهج التاريخي في العلوم الاجتماعية، فهو القائل بأنّ العلم يجب أن يتّخذ العصر الذي بدأ فيه الموضوع الذي نعنيه بالبحث في الظهور كنقطة بداية الدارسة لهذا الموضوع. **(محمد طلعت عيسى، 1963، ص 202.)**

أمّا **سان سيمون** فيرجع إليه الفضل في الربط بين المنهج التاريخي والمنهج العلمي في البحث، فقد عرّف التاريخ بأنه الحالة الاجتماعية للشعوب، وعلى هذا لا يتيسّر الوقوف على التاريخ الحقيقي إلّا إذا أمكن ملاحظة تطوّر الحضارة ملاحظة علميّة.

كما كان **أوغست كونت** في مستهلّ شبابه مولعًا بمناهج العلوم، وأدرك منذ اتصاله بأستاذه **سان سيمون** أنّ تاريخ العلوم هو الذي يفسّر لنا حقيقة العلم ويبرز جوهرها.

أمّا عن وجهة نظر **كارتر فاجود** فيرى أن التاريخ واسع كاتّساع الحياة نفسها، يضمّ الميدان الكلّي الشامل للماضي البشري و الحقائق و البيانات التاريخية، بحيث يُنظر إليها على أنها جزء لا يتجزأ من عملية النموّ الاجتماعي وعملية الحياة الاجتماعية الشاملة التي كانت تحيط بها أكثر منها حقائق متفرّقة أو منفصلة عن الحياة المحيطة بها.

وأوضحت **بولين يونج** أهمية التاريخ في البحث الاجتماعي بقولها" أننا في البحث الاجتماعي نتعقّب التطوّر الماضي لكي نعيد بناء العمليات الاجتماعية، ونربط الحاضر بالماضي ونفهم القوى الاجتماعية الأولى التي شغلت الحاضر، بقصد الوصول إلى فهم يمكن أن يساعد في صياغة المبادئ أو القوانين الاجتماعية الخاصة بالسلوك الإنسانيّ للأشخاص أو الجماعات أو النظم. **(محمد طلعت عيسى، 1963، ص 214.)**

2.4. مصادر البحث التاريخي:

- السجلّات والوثائق المكتوبة أو الشفوية التي كانت موجودة في فترة زمنية معيّنة والمتعلّقة بالظاهرة موضوع البحث.
- الآثار التاريخية كالمباني القديمة، الأدوات والملابس القديمة.
- المجلّات والصحف، القصص، الأساطير، الدراسات السابقة، الحكايات الشعبية، المذكّرات، السير الذاتية للأشخاص الذين عايشوا تلك الفترة الزمنية، المصادر الشخصية، الكتب العلمية والفنية المتعلقة بحقائق وأحداث موضوع البحث التاريخي.

(François Buton, Nicolas Mariot, 2009, p 107.)

3.4. خطوات تطبيق المنهج التاريخي:

أ- **توضيح مشكلة البحث:** يشترط في مشكلة البحث توافر شروط كأهمّيتها و مدى مناسبة المنهج التاريخي لها وتوافر الإمكانيات اللّازمة و أهمية النتائج التي سيتوصّل إليها الباحث.

ب- **جمع البيانات اللازمة**(التمييز بين نوعي المصادر الأولية و الثانوية)

- **المصادر الأولية** تتمثّل في السجلّات، الوثائق و الآثار، ويُعتبر القرآن الكريم من المصادر الأوّلية و كذلك تاريخ ابن خلدون والرحلات.
- **المصادر الثانوية** تتمثّل في الصحف، المجلات، شهود العيان، المذكرات والسير الذاتية، الدراسات السابقة، الكتابات الأدبية، الأعمال الفنية، القصص، القصائد، الأمثال، الأعمال والرقصات المتوارثة، التسجيلات الإذاعية والتلفزيونية، أشرطة التسجيل وأشرطة الفيديو، النشرات، الكتب والدوريات، الرسومات التوضيحية و الخرائط.

ويميل الكثير من الباحثين إلى تفضيل المصادر الأولية عن الثانوية، لأنها المنبع الأصلي أو الأساس الذي اعتمده الأوائل في تأسيس حضاراتهم .ولكن قد يجد الباحث صعوبة في قراءة آثار القدماء التي تحتاج إلى متخصّصين، لذلك يلجأ إلى المصادر الثانوية.

ج - **تحليل ونقد مصادر البيانات:**

- **النقد الخارجي** يرتبط بشكل الوثيقة وعنوانها الرئيسي والتأكّد من ارتباطها بعصرها.

– **النقد الداخلي** يرتبط بمحتوى الوثيقة ودقّة ما تحتويه من معلومات، وهذه الخطوة تتطلّب من الباحث أن يعرض النتائج التي توصّل إليها البحث تبعا لأهداف أو أسئلة البحث مع مناقشتها وتفسيرها .وينقسم هذا التحليل الداخلي بدوره إلى نوعين :إيجابي وسلبي.

فالتحليل الإيجابي يرتكز على فهم معنى الألفاظ و العبارات الواردة في الوثيقة للوصول إلى تحديد المعاني المختلفة ومعرفة الجُمل والتراكيب والعبارات الواردة .كما يضطرّ الباحث إلى معرفة لغة العصر الذي كُتب فيه، وفكّ رموزها وألغازها، لذلك على الباحث أن يكون خبيرا بمعرفة اللغة قديمها وحديثها حتّى يتمكّن من تحليل ونقد وتقييم الوثيقة.

واذا كان التحليل الإيجابي يفيدنا في معرفة قصد المؤلّف ومعانيه وأسلوبه وحتّى تراكيب اللغة، فإنّ **التحليل السلبي** يفيد في معرفة الظروف المحيطة بالمؤلّف والتي كان لها تأثير على الوثيقة .كما تدلّنا هذه الظروف على معرفة الدوافع الأساسية وراء تأليف الوثيقة، هل هي دوافع خاصّة أو مصلحيّة أو جماعيّة يريد من خلالها صاحب الوثيقة أن يدافع عنها.

د– صياغة الفروض :بعد أن ينتهي الباحث من الجمع والتحليل والنقد، يعمل على تشكيل فروض للدراسة تساعده في تحديد اتّجاهه ومسار دراسته .علما بأنّ النقد الخارجي والداخلي للمعلومات يكون بمثابة اختبار فرضيّات الدراسة أو إثبات أو نفي لها. **(ربحي مصطفى عليان و عثمان محمد غنية، 2000، ص 41.)**

إنّ المشكلة الكبرى في البحوث التاريخية هي نجاح الباحث في تركيب المادّة التي يجمعها في إطار موحّد لا تناقض فيه، لأنّ البحث التاريخي يتّصل بماضٍ انتهى ولا تتوافر عنه إلّا

بيانات جزئيّة تخضع لتفسيرات وتأويلات متباينة، وعليه فإنّ الفروض في البحوث التاريخية وان تشابهت مع الفروض في البحوث الأخرى تبقى ذات طبيعة مميّزة.

و- عرض النتائج وملخّص البحث :بعد انتهاء الباحث من جمع البيانات وتصنيفها والربط بينها، و إيجاد العلاقات بين الظواهر المدروسة واستنباط الحقائق ونقد المعلومات وفحصها وتحليلها، ومن صياغة الفروض المختلفة لتفسير الحوادث والظواهر التاريخية التي يدرسها، ومن تحقيق واختبار كلّ فرض من الفروض التي قدّمها، فإنّ عليه أن ينتقل إلى المرحلة النهائية والأخيرة من بحثه، وهي مرحلة استخلاص النتائج وكتابة تقرير بحثه، الذي يلخّص فيه الحقائق والنتائج التي توصّل إليها في أسلوب علمي متين، بعيدا عن المبالغات والخيال والمحسّنات البديعيّة المُبالَغ فيها.(**عمر التومي الشيباني، ص110.)**

وهكذا يتوصّل الباحث إلى الكثير من الحقائق و النتائج التي كان يهدف إلى اكتشافها في بداية بحثه، بعد أن يقوم بتصنيفها وتحليلها والربط بينها.

4.4. ايجابيات المنهج التاريخي:

أنه يعتمد الأسلوب العلمي في البحث(الإحساس بالمشكلة، تحديدها، صياغة الفرضيات، مراجعة الكتابات السابقة وتحليل النتائج وتفسيرها وتعميمها).

لذلك تكمن أهمية الدراسات التاريخية في أنها تساعد في الكشف عن النظريات العلمية والأساليب التي اعتمد عليها السابقون في حلّ مشاكلهم، ومن دراسة تلك النظريات و الأساليب يمكن الربط بين الظواهر الحالية و الظواهر الماضية. كما أنها تساعد في فهم

الجوانب الإيجابية و السلبية لحياة الشعوب في الماضي، وبالتالي يستفيد الإنسان من نقاط القوّة في الماضي، حيث يسعى للاستعانة بها في حلّ مشاكله الحالية، كما يأخذ العبر من نقاط الضعف التي مضت فيعمل على تجنّبها . وبذلك فإنّ هذه الدراسات التاريخية تعطي فكرة مصغّرة عن العلاقات بين الظواهر الاجتماعية و العوامل التي أدّت إلى نشأة وبروز المشاكل التي واجهها الناس في فترة زمنيّة معيّنة. **(ذوقان عبيدات و آخرون،1983، ص173.)**

5.4. عيوب المنهج التاريخي:

– أنّ المعرفة التاريخية ليست كاملة، فهي تقدّم صورة جزئية عن الماضي نظرا لطبيعة المصادر التاريخية، وتعرّضها للعوامل التي تقلّل من درجة الثقة بها مثل التلف و التزوير والتحيّز.

– صعوبة إخضاع البيانات التاريخية للتجريب، الأمر الذي يجعل الباحث يكتفي بعملية النقد الداخلي والخارجي للوثائق.

– صعوبة التعميم والتنبّؤ، بسبب ارتباط الظواهر التاريخية بظروف مناخية ومكانية محدّدة والتي يصعب تكرارها مرة أخرى، كما يصعب على المؤرخين توقّع المستقبل.

وعموما، يستند هذا المنهج على كيفية تفسير الأحداث والوقائع وتدوين كلّ ما حدث في الماضي وبطريقة تحليلية تفحّصيّة لتاريخ الأمم و الشعوب .و إذا كان التاريخ يعني تدوين و رواية ما حدث في الماضي، فإنّ منهج البحث التاريخي يتحدّد في ذلك الأسلوب الوثائقي

المتّبع في جمع الحقائق و المعلومات التاريخية من خلال دراسة الوثائق و السجلّات والآثار. **(فوزية زنقوفي، 2018، ص 36.)**

5. المنهج المقارن:

المقارنة كمنهج قائم بذاته حديثة النشأة، لكنها قديمة قدم الفكر الإنسانيّ ، فقد استخدمها **أرسطو** و**أفلاطون** كوسيلة للحوار والمناقشة، كما استخدمت في الدراسات المتعلّقة بالمواضيع العامّة والقضايا الجزئية التي تحتاج إلى الدراسة والتدقيق، لذلك فإنّ المنهج المقارن هو القيام بعمليّة التناظر أو التقابل بين الأشباه والنظائر على حدّ تعبير **ابن خلدون** والمقارنة بين خصائصها .وهو الأداة المثلى في علم الاجتماع لأنّه يقوم على أساس مقارنة الظاهرة الاجتماعية في وضعين أو أوضاع مختلفة.

1.5. تعريفه:

يعالج المنهج المقارن القصور الذي يتعرّض له المنهج التجريبي، باعتبار هذا الأخير يواجه صعوبات في العلوم الاجتماعية، لذلك يُعتبر المنهج المقارن أحد المناهج الرئيسية المستخدَمة في العلوم الاجتماعية.

يصف **إيميل دوركايم** المنهج المقارن بأنه نوع من التجريب الغير مباشر، غير أنّ الظواهر الاجتماعية لا تخضع جميعها للمقارنة، إذ يمكن فقط مقارنة الظواهر المتجانسة عكس ما هو قائم في الظواهر الفيزيائية والتي تسهل مقارنتها لقابليّتها للتكرار وظهورها نتيجة حالات متماثلة .أمّا الظاهرة الاجتماعية فهي حادثة إنسانية تتحكّم فيها حريّة الإنسان و لا تتكرّر

بنفس الطريقة بسبب طابعها التاريخي. و إذا أراد الباحث مثلا مقارنة مختلف الصور التي تتشكّل بها إحدى الظواهر الاجتماعية في مختلف الشعوب، ينبغي عزل هذه الظاهرة عن جميع ما عداها من مجموع الظواهر الاجتماعية الأخرى التي وُ جدت في عصرها، ومن الصعب هنا تنفيذ ذلك .

لذلك حكم **أوغست كونت** بعدم كفاية هذا المنهج ووجد أنه لا بدّ من سدّ أوجه النقص فيه بالمنهج التاريخي، وعليه فقد يستخدم عالم الاجتماع المنهج التاريخي و المنهج المقارن معًا من خلال تتبّع ظاهرة من الظواهر الاجتماعية في نشأتها وتطوّرها، ثمّ يقوم بمقارنتها على مرّ العصور في المجتمع الواحد أو في مجتمعات مختلفة، حينئذ يسمّى هذا المنهج بال**منهج التاريخي المقارن**.

وعموما فالمنهج المقارن هو الوسيلة العلميّة التي يستخدمها الباحث الاجتماعي في دراسة الظواهر والعمليات والتفاعلات والمؤسّسات الاجتماعية دراسة مقارنة تختصّ بدراسة أوجه الشبه والاختلاف بين الظواهر والمؤسّسات في مجتمعات مختلفة وبيئات متباينة جغرافيا و اقليميّا، وفي مجتمع واحد عبر فترات زمنية مختلفة، بمعنى أنه طريقة لمعالجة الموضوعات ذات الطابع المقارن ببيان أوجه الاختلاف و أوجه التشابه بين جزئي الموضوع المبحوث.

2.5. خطوات المنهج المقارن:

يتضمّن المنهج المقارن مجموعة من الخطوات المنهجية و التي يمكن حصرها كما يلي:

- تحديد الإشكالية و طرح التساؤلات الفرعية التي تعكس أبعاد الدراسة مع صياغة الفروض.
- تحديد المفاهيم والتعريفات الإجرائية، بحيث يسبق المفهوم جمع البيانات الكمّيّة . فالمفاهيم ضرورية كمرحلة انطلاق مرجعيّة لتجميع الظواهر المتباينة، لأنّ العلوم تعتمد على القاعدة المفاهيمية التي ترشد الباحث في عملية المقارنة.
- جمع البيانات والمعلومات النظرية والميدانية عن الظاهرة، فالبيانات ضرورية للمقارنة ولاختبار الفروض التي تمّت صياغتها.
- تنظيم وترتيب وتصنيف المادّة العلمية النظرية والميدانية، ثمّ شرح وتفسير خواصّ التشابه والاختلاف الرئيسيّة والثانويّة للوصول إلى مستويات الإيضاح و التجريد النظري.
- تدقيق النتائج العلميّة و صياغتها و التحقّق من صدق الفرضيات و الإجابة عن تساؤلات البحث.
- تعميم النتائج المحصّل عليها و وضع مقترحات قائمة على التنبّؤ المستقبلي.

.5. أهمية المنهج المقارن و استخداماته في العلوم الاجتماعية:

تتلخّص أهميّة المنهج المقارن وأهدافه في مدى استخداماته في العلوم الاجتماعية، والتي نخصّ بالذكر منها:

في علم الاجتماع :إنّ البحث السوسيولوجي يستدعي المقارنات التي تُعتبر من أهمّ المعايير التي اعتمدها علماء الاجتماع في أولى أبحاثهم، حيث اعتبروها الأداة الأفضل لبحوث علم الاجتماع، لأنّ الشروط الاجتماعيّة المتماثلة تُحدث شروط اجتماعيّة متماثلة .فالعالم الاجتماعي يستعين في تحقيق الفروض بالتاريخ المقارن، فيتناول المجتمعات في أمكنة وأزمنة مختلفة وكيف أنّ الظاهرة المحدّدة تتغيّر تبعًا لتغيّر ظاهرة أخرة معيّنة، فأساس منهج علم الاجتماع هو منهج المقارنة لكونه يعتمد على الإحصاء والخطوط البيانيّة في شكل رياضي، وفي هذا السياق نجد أنّ **إيميل دوركايم** قد مزج بين المنهج التاريخي و المنهج المقارن في دراساته المختلفة.

في العلوم السياسيّة: لقد ساهم المنهج المقارن بدرجة كبيرة في تطوّر علم السياسة، حيث استخدمه **مونتيسكيو** في تصنيفاته للأنظمة إلى جمهوريّة ملكيّة دستوريّة و استبداديّة، وارتكزت مقارنته بناءً على الممارسة الفعليّة المطبّقة داخل النظام، وكذا الأمر بالنسبة إلى **ميكيافيلي** في تصنيفه للدول (الدولة التي يحكمها ملك واحد، الدولة الأرستقراطّية والدولة الديمقراطيّة.)

وبناءً على هذه الاستخدامات في شتّى العلوم، يظهر المنهج المقارن في علاقة حتميّة بالعديد من المناهج، مثل منهج دراسة الحالة و المنهج التجريبي والمنهج التاريخي .ففي المنهج التاريخي مثلا نجد أنّ المنهج المقارن يعتمد أحيانًا على التاريخ، لأنّ التاريخ لا يكون منهجًا لمجرّد تجميع الأحداث، بل لأنّ الباحث يلجأ إلى توظيف التاريخ لاستخلاص قوانين

عامّة حول ظاهرة ما من خلال مقارنة أشكال هذه الظاهرة عبر التاريخ، وهنا ظهر ما يسمّى **بالتاريخ المقارن** كما سبق وأن أشرنا إليه عند **إيميل دوركايم**. لكن هذا لا يعني أن نخلط بين المنهج المقارن والمنهج التاريخي، فالفكرة الأساس ية في المنهج التاريخي هي التطوّر وتتبعه وتعقبه على مرّ الزمان، بينما الفكرة الأساسية في المنهج المقارن هي مقارنة الظاهرة في وضعين اجتماعيّين مختلفين .كما أنّ المنهج التاريخي يجعل الباحث يرجع بالظاهرة إلى الوراء ليرى كيف نشأت و تطوّرت، و في المنهج المقارن يقارن الباحث ظاهرة موجودة في الوقت الحاضر في مجتمعين مختلفين دون الحاجة إلى أن يعود بها إلى الماضي.

4.5. صعوبات استخدام المنهج المقارن:

وبالرغم من التطبيقات و الاستخدامات العمليّة للمنهج المقارن خاصّة في علاقته مع المناهج الأخرى وأهميّته وأهدافه، إلّا أنّه تتخلّله بعض الصعوبات التي ندرجها كالآتي:

- صعوبة ضبط وتحديد بعض المفاهيم الجوهريّة التي تتّسم بالطابع العامّ.
- صعوبة تحديد الوحدة الطبيعيّة للمقارنة كوحدة الدولة والأبنية المختلفة لها.
- صعوبة تحديد سمات و خصائص الظاهرة القابلة للمقارنة.
- صعوبة دراسة العلاقات المتبادلة بين المعايير و المؤسّسات والسلوك.
- صعوبة اختيار وحدات التحليل التي على أساسها تتمّ المقارنة.
- صعوبة حصر المتغيرات الأساسيّة و الافتقار للمعلومات الدقيقة و ذات المصداقيّة العلميّة.

- صعوبة اختيار وحدات التحليل التي على أساسها تتمّ المقارنة.
- كما أنّ ظروف التحكّم في المقارنة صعبة ومعقّدة، وأنّ نقص أو غياب بعض الإحصائيات الضروريّة في المقارنة تجعلها ضعيفة الحجّة و الدلالة الإحصائيّة.

و نتيجة لهذه الصعوبات، فالمنهج المقارن لا يوضّح بشكل جليّ سبب وجود الظاهرة أو لماذا ظهرت و ما هي المؤثرات السلبيّة أو الإيجابيّة التي ساعدت على ظهورها، كما أنه لا يوضّح ما هي تبعات المقارنة و آثار الصفات المكتشفة على بقيّة الظواهر الاجتماعيّة، إضافة إلى سطحيّة الظاهرة، بمعنى أنها ظاهرية و ليست داخليّة، فهي تقتصر على إظهار التشابهات و المفارقات بين الظواهر، لكن هذا لا يُفقد المنهج المقارن القيمة العلميّة التي تتضمّنها خطواته و مجالاته و استخداماته. **(فوزية زنقوفي،2018، ص 40)**.

6- منهج المسح الاجتماعي:

1.6. تعريفه:

المسح **لغة** يعني تمرير اليد على شيء سائل لإزالته ، وهو يعني هنا إزالة ما لطّخ الشيء من سوائل أو غبار أو تراب أو غير ذلك من الموادّ حتى نبرزه على حقيقته لغيرنا. و**اصطلاحا** هو مفهوم مشتقّ من العلوم الطبيعيّة يُستخدم في علوم الأرض فمسح الأراضي يكون بمعرفة مساحتها وتركيبها، ولقد انتقل هذا المفهوم ليشمل المجتمع أيضا، فهو المنهج الذي يقوم على جمع المعلومات و البيانات عن الظاهرة المدروسة للتعرّف على وضعيّتها الحاليّة وجوانب قوّتها وضعفها. **(بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلاني، ص34.)**

لقد تعدّدت التعريفات للمنهج المسحي في التحليل الاجتماعي، فهناك من يرى أنه عملية جمع الحقائق عن جماعة من الأفراد في بيئة معيّنة من حيث ظروفهم المعيشية و أنشطتهم و تكوينهم الاجتماعي. فالدراسات المسحية هي من أكثر الطرق المباشرة لتحديد الكيفية التي يشعر ويفكّر بها الأفراد حول الموضوع الذي يُسألون فيه، حيث تتمثّل إجراءات هذا النوع من الدراسات في سؤال مجموعة من الأفراد(المبحوثين) عدّة أسئلة تتمحور حول سلوكاتهم واتجاهاتهم و آرائهم و معتقداتهم.**(معتز سيد عبد الله وعبد اللطيف محمد خليفة، ص 74)**

فمنهج المسح يقوم على عدّة محاولات منظّمة للحصول على معلومات ضخمة من أعداد كبيرة لجمهور معيّن، من خلال أساليب المقابلة المقنّنة أو استبيانات مقنّنة .بمعنى أنّ المسح الاجتماعي هو أسلوب لجمع البيانات عن طريق جماعة معيّنة في بيئة محدّدة، وقد يتناول المسح الاجتماعي دراسة أحد الجوانب الاجتماعية مثل الرعاية الصحّية، النشاط الزراعي والاقتصادي، وذلك في منظّمة أو مجتمع محلّي أو المجتمع ككلّ.(**عبد الله محمد عبد الرحمن، 1999، ص 154.)**

ويختصّ منهج المسح الاجتماعي بتجميع البيانات من التقارير أو الجداول الكمّيّة أو من كليهما، حيث يعتمد على طرق و أدوات مختلفة لتجميع تلك البيانات، من أهمّها الملاحظة وأدواتها، القوائم التكرارية، قوائم الشطب، والتقارير الوصفية التي يكتبها الملاحظون عن الظواهر التي يسجّلونها.

وهناك من يذهب بعيدًا في تحديد معنى المسح الاجتماعي عندما يكون الأمر متعلّقًا بتفاصيل البيانات المجمَّعة، فيَعتبر المسح البحثيّ هو ذلك النوع من الاستقصاءات العلمية الاجتماعية والذي يهتمّ بدراسة الظروف الاجتماعية و الاقتصادية وغيرها في مجتمع معيّن عن طريق العيّنة بقصد تجميع البيانات والحقائق واستخلاص النتائج اللازمة لحلّ المشاكل الاجتماعية .بمعنى، يُستخدم البحث المسحي للإشارة إلى البحث الميداني الوصفي، الذي يتضمّن بيانات كمّيّة عن مشكلة اجتماعيّة معيّنة .ويرى **موزر** بأنّ منهج المسح الاجتماعي يتناول دراسة الخصائص الديموغرافية و البيئة الاجتماعيّة و الأنشطة أو الآراء أو الاتجاهات السائدة في جماعة معيّنة وعليه فإنّ منهج المسح الاجتماعي هو طريقة لجمع البيانات حول ظاهرة اجتماعية معيّنة بغرض دراستها و الوصول إلى استنتاجات عن المجتمع البحثي موضوع الدراسة، أو بغرض بناء إشكالية وفرضيات البحث، أو يكون الغرض هو الإعلام والتوعية.

وتتناول مجالات المسح الاجتماعي بالدراسة موضوعات اجتماعية مختلفة مثل :دراسة السجون، أحوال المساجين، المشكلات و القضايا الاجتماعية المختلفة، الجماعات من مختلف الطبقات و المستويات، القضايا الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، فئات المجتمع و طبقاته و الفروق بين فئاته. **(سامي ملحم،2000، 332.)**

لذلك يُعتبر المسح أوسع المناهج استخدامًا وأكثرها شيوعًا، فهو يُستخدم في تخصّصات عديدة كعلم الاجتماع والاقتصاد والإعلام والإرشاد و الزراعة.

2.6. خصائص منهج المسح الاجتماعي:

- يلجأ الباحثون في العلوم الاجتماعية عمومًا إلى استخدام هذا المنهج لأنّه يمكّن من اختبار صحّة الفروض و الإجابة على تساؤلات البحث.
- يعتبر المسح الاجتماعي دراسة للواقع الاجتماعي عن طريق جمع البيانات اللازمة والضرورية عن المجتمع البحثي موضوع الدراسة بطريقة منظّمة عن طريق استمارة مقابلة أو استمارة استبيان.
- تُستخدم البيانات التي جُمعت عبر المسح الاجتماعي عن الوقت الحاضر في تفسير العلاقات بين متغيرات اجتماعية في وقت سابق.
- يُمكن التأكّد من صدق بيانات المسح الاجتماعي باستخدام محكّات خارجية و عن طريق تطبيق أساليب إحصائية متطوّرة.
- غالبًا ما يستند المسح الاجتماعي على قاعدة نظرية واضحة، كأن يتبنّى القائمون عليه النظرية السلوكية أو التفاعلية الرمزية. **(مصباح عامر،2017، ص52.)**

2.6. خطوات منهج المسح الاجتماعي:

للقيام بعملية المسح الاجتماعي فإنه من الضروري إتباع **الخطوات** الآتية للحصول على المصداقية العلمية:

- يبدأ المسح بتحديد الغرض منه تحديدًا واضحًا، بحيث يتضمّن تحديد المشكلة و الاعتبارات العلميّة التي يُبنى عليها و هدفه الذي لا يتحقّق إلّا عن طريق التخطيط،

بمعنى البناء النظري للعملية ككلّ من حيث وضع أهدافها بدقّة، إضافة إلى بناء تصميم نظري للأسئلة التي تُطرح على المبحوثين وتحديد خصائص العيّنة المطلوبة والمكان والزمان اللازمين لتنفيذ العملية، وبما أنّ طريقة المسح تحتاج إلى مساعدين فنّيّين في جمع البيانات، وجب إعداد هؤلاء المساعدين و ذلك بتدريبهم تدريبا كافيًا لضمان صحّة البيانات المتحصّل عليها.

- جمع البيانات التي تعتمد بشكل حيوي على ذكاء وخبرة القائم بعملية المسح الاجتماعي، خاصّة في تبديد الشكوك وتلطيف العلاقات وبناء الاتجاهات الاجتماعية من خلال الشرح، التفسير، الإقناع، السلوك المنبسط والصبر، وتتمّ هذه الخطوة عن طريق المقابلة و الاستفتاء و الملاحظة وبعض المقاييس المحدَّدة في جمع البيانات .
- تفريغ البيانات باستخدام الجداول، بحيث يتمّ تصنيفها إلى فئات وفق متغيرات البحث من أجل استخدام التحليل الإحصائي على نطاق واسع كتشغيل برامج الإحصاء الآلي SPSS مثلا.
- بعد القيام بتفريغ البيانات وتحليلها إحصائيا تأتي مرحلة التفسير وصياغة النتائج عن طريق القياس المنطقي، بمعنى القراءة الكيفية للنتائج التي يُعطيها التحليل الإحصائي لتقديم معاني النتائج الكمّيّة بطريقة واضحة ومفهومة واستخلاص النتائج العامة مع تقدير مدى الثقة في النتائج الإحصائية.

3.6. بعض نماذج لدراسة المسوح الاجتماعية:

من أهم الدراسات التي تناولت نماذج عن المسوح الاجتماعية هي:

دراسة جون هوارد الذي يُعدّ من كبار المصلحين الاجتماعيّين في إنجلترا و من الأوائل الذين استخدموا منهج المسح، ففي سنة 1775 م قام **هوارد** بدراسة مقارنة لأحوال السجون في عدّة دول أوربية، فقد كلّفته عملية جمع البيانات من مصادرها جهدًا و مشقّة، حيث جمع بيانات كمّيّة عن موضوع الدراسة و اعتمد على الملاحظة بالمشاركة و على المقابلة الشخصية في الحصول على البيانات المطلوبة .كما قضى **هوارد** السنوات الخمس الأخيرة من حياته في دراسة وسائل منع انتشار الطاعون، و لكي يراقب كيف كان المرضى يعالَجون في المستشفيات الأوروبية أخضع نفسه عن عمد للعدوى، وبهذه الطريقة استطاع التعرّف على الظروف الحقيقية في المصحّات(مستشفيات الأمراض المعدية.) بعدها قام بنشر كتاب "**تقرير عن المصحّات الرئيسية في أوروبا عام 1987** م"، علمًا بأنه توفّي في إحدى رحلاته العلمية التي كان يجمع فيها البيانات الميدانيّة.

دراسات فريديريك لوبلاي الذي حاول أن يكون موضوعيا وغير متحيّز في أبحاثه، فقد قام بفحص ميزانيّات العائلات، وناقش مع أفراد العائلة أوجه نشاطهم الماليّ و الاجتماعي وفحص بإمعان دفاتر الحسابات اليوميّة، وفي عام 1986 م أسّس لوبلاي منظّمة عالمية لدراسة الاقتصاد الاجتماعي، و بإدخاله الوسيلة الفنيّة الخاصّة بمراقبة العائلات، فتح اتّجاهًا جديدًا في المشاكل الاجتماعية، وتكمن مساهماته الرئيسية للمنهج العلمي في استخدامه

بشكل شامل الخطوط المفصّلة لكي ترشده في ملاحظاته، فعمل على تطوير تقنيّات المقابلات الشخصيّة و الاستفتاءات و الفحص الجادّ لدفاتر المحاسبة وغيرها من السجلّات الشبيهة، أو اعتبارها من أهمّ الوسائل للتحقّق من البيانات، وقد قام أيضا باستخدام طريقة دراسة الحالة أو ما نسمّيه بالوصف الموضوعي لتاريخ أو حالة فرد أو مجموعة معيّنة على نطاق واسع، مع العلم أنّ دراسات **لوبلاي** لم تحلّ في الواقع أيّة مشكلة، إلّا أنها زوّدتنا بمعلومات هامّة جدا عن فصول مختارة من الحياة العائلية، ومع ذلك فقد اعتقد **لوبلاي** بأنه اكتشف علاقة وثيقة بين الرفاهية الاقتصادية للعائلة و نجاحها العاطفي و الاجتماعي، وبالرغم من ذلك لا يزال علماء الاجتماع يستخدمون منهج **لوبلاي** في المسح. بالنسبة **لدراسات المسحية عن الرأي العام** ، فإنّ للرأي العامّ قوّة كبيرة في التأثير على سلوك الأفراد والهيئات الحاكمة.

ذلك يهتمّ به القائمون بالتخطيط في كثير من ميادين النشاط الإنسانيّ ، ولقد أصبحت الكثير من الدول تهتمّ باستطلاع الرأي العامّ بطريقة منظّمة، حيث أُن شئت لذلك هيئات خاصّة، واهتمّت به الشركات ورجال الأعمال خاصّة في عمليات التسويق .ويُعتبر الاستفتاء من أهمّ وسائل قياس الرأي العامّ، خاصّة تلك الآراء التي وصلت إلى درجة كبيرة من الاستقرار.

ويقرّر **كانتريل** أنّ الأسئلة ذات الإجابات المفتوحة لها قيمتها الكبيرة في تحليل الآراء السائدة في المجتمع، وأنّ الأسئلة المغلقة لها قيمتها الكبيرة في المشكلات المحدّدة تحديدًا واضحًا، أمّا الأسئلة ذات الاحتمالات المتعدّدة فتفيد عندما يكون لأحد الجانبين أو لكليهما عدة

احتمالات، وعمومًا، فإنّ نوعية الأسئلة المطروحة سواء كانت مفتوحة أو مغلقة أو متعدّدة الاحتمالات، هي التي توضّح الموضوع المدروس، و الملاحظ أنّ الكثير من الشركات تطبّق مسحًا للرأي العامّ في ما يتعلّق بالأسواق لتحديد المنتجات أو التعليل أو الإعلان من أجل إغراء المستهلك، وفي هذا المجال فقد حقّقت المؤسّسات التجارية و الصناعية زيادة في الأرباح من خلال أخذ الحذر من الأخطاء في تسويق منتجاهم و هذا بفضل معرفة ردّ فعل المستهلك. وإجمالا، يمثّل الرأي العامّ اتّجاهًا يشترك فيه عدد كبير من الأفراد في مجتمع معيّن، قد يكون متماثلًا بين أفراد المجتمع، وقد يكون مختلفا بين الجماعات الفرعية داخل الإطار العامّ.

4.6. ايجابيات و سلبيات منهج المسح الاجتماعي:

هناك العديد من **المزايا** التي تحدّث عنها علماء المنهجية الخاصة بالمسح الاجتماعي نلخّصها في:

- يمكّن المسح الاجتماعي من الحصول على بيانات كثيرة يمكن اختبارها دون بذل مجهودات كبيرة.
- تطبيق أداة المقابلة أو الملاحظة في المسح، يعمل على تدقيق البيانات المتحصّل عليها.
- قلّة التكاليف المالية ووجود فترة زمنية مناسبة للمبحوث للتفكير حول الإجابة عن الأسئلة خاصّة عند استخدام الاستبيان البريدي.

- تتميّز المسوح الاجتماعية بدرجة كبيرة من المرونة وعدم تحيّز المستجوبين في الإدلاء بالمعلومات الحقيقية، حيث يسمح للقائم بالمقابلة توضيح بعض الكلمات التي قد تبدو واضحة للمبحوث.
- ارتفاع معدّل تجاوب العيّنة مع عملية المسح الاجتماعي، ممّا يسمح بجمع معلومات إضافية محلّ اهتمام الباحث خاصّة في محور الاقتراحات أو الآراء المفتوحة.

ومن **عيوب** المسح الاجتماعي سطحية المعلومات المتحصّل عليها بسبب الاهتمام المتزايد بجمع بيانات كثيرة في فترة زمنية واحدة ومحدّدة، كما أنّ العديد من المستجوبين يعمدون إلى إخفاء أسرارهم لتقديم الصورة الجيّدة عن شخصيّتهم وسلوكهم الاجتماعي .لكن يبقى المسح الاجتماعي أحد المناهج المستخدمة على نطاق واسع في البحوث الاجتماعية، وهذا ما عبّر عنه **معتز سيّد عبد الله** و**عبد اللطيف محمد خليفة** في أنّ الهدف من الدراسات المسحيّة هو محاولة جمع الخصائص المميّزة لظاهرة معيّنة بقصد استخدام البيانات التي يتمّ الحصول عليها لتعزيز ظروف معاشة وتأييد ممارسات راهنة أو لعمل تخطيطات أكثر كفاءة و فاعليّة لتحسين الظروف و العمليّات الاجتماعية .

والجدير بالذكر في المسح الاجتماعي أنه يختلف عن البحث الاجتماعي في أنّ المسح الاجتماعي خاصّ بمكان محدود أو قرية أو مدينة أو منطقة من المناطق، بينما البحث الاجتماعي عامّ يشمل المجتمع بأسره، ويهدف إلى تحقيق غرض عامّ يُرجى منه استفادة عدد كبير من أفراد المجتمع كمحاولة إدخال نظام التأمين الاجتماعي والضمان الاجتماعي،

بينما المشكلة التي يهدف إليها المسح الاجتماعي تكون محدودة كالأمّيّة والطلاق أو تعدّد الزوجات .كما يهدف البحث الاجتماعي إلى دراسة الظواهر الاجتماعية و الاقتصادية .. للمجتمع، بينما يهدف المسح الاجتماعي إلى الكشف عن الأسباب المؤدّية إلى مظهر انحلالي في تلك البيئة المحدودة لعلاجه فورا .

الفصل الثاني: أهم المدارس المنهجية الكبرى

تمهيد:

نقصد بالمدرسة في العلوم الاجتماعيّة مذهبًا فلسفيا أو اجتماعيا ينتمي إليه أنصار ومعارضون، حيث يتقيّدون بتعاليمه و يسعون إلى تحقيق الغاية منه .ومن أهمّ هذه المدارس:

1. المدرسة الإسلاميّة:

يُقصد بالنظريّة الإسلامية في السوسيولوجيا أسلمة علم الاجتماع موضوعًا ومنهجًا وتصوّراً ورؤية، فهي تمثّل العقيدة الربّانيّة في التعامل مع المواضيع الاجتماعيّة و الاحتكام إلى المعيار الأخلاقي أو القيمي أثناء التعامل مع الوقائع و الظواهر المجتمعيّة، و تقديم الحلول ضمن رؤية إسلامية بعيدة عن الطائفيّة و المذهبيّة و العرقيّة، واستحضار العقل الإسلامي في التحليل و التشخيص و التركيب، توجيه المجتمع ،تعديله، وتغييره.

إذا انطلقنا من مفهوم الإنسان في ظلّ التراث الإسلامي و تعاليمه، فهو الحيوان المتميّز بالعقل والروح و القادر على التفكير المجرّد و على استخدام الرموز المختلفة، ذو النزعة الطبيعيّة نحو الاجتماع و القادر على صنع الثقافة وبناء الحضارة، المتميّز بطموحه مغامرته واهتمامه بالمستقبل وحبّ التملّك وذو النزعة الطبيعيّة نحو التديّن والتفكير الميتافيزيقيّ .ومن أهمّ خصائص الإنسان حسب التيار الفكري الإسلامي أنّه خُلق من طين على شكل متميّز يدلّ على عظمة الخالق وكمال قدرته، ويُذكّر الإنسان منذ بداية تكوينه بن عم الله التي لا تُحصى عليه والعلاقة الوثيقة التي تربط بينه وبين الطبيعة المحيطة به .ولكن مهما كانت دقّة خلق الإنسان فهي لا تُعدّ شيئًا بالنسبة لقدرة الله و إرادته.(**محمد لبيب النجيحي، 1967، ص 256.)**

وتقابل هذه النظرة الكلّيّة الشاملة للإنسان نظريّات انشطاريّة تركّز في مفهومها للإنسان وفي اهتمامها بهذا الإنسان على جانب أو شطر معيّن من شخصيّته .فتركّز على الجانب الجسميّ أو المادّيّ كما هو الحال عند المادّيّين والحسّيّين، أو تركّز على الجانب العقلي فيه

كما هو الحال عند العقليّين أو تركّز على الجانب الروحيّ كما هو الحال عند الروحيّين وبعض المتصوّفين.

فالمادّيّون ينظرون إلى الإنسان على أنّه جزء لا يتجزأ من الكون، يخضع لنفس القوانين التي يخضع لها سائر أجزاء ذلك الكون الذي يتناوله العلم بالدراسة والتحليل، وعلى أنّه يخضع للدراسة العلميّة و الوصف العلميّ كأنّه عيّنة معمليّة. و من النماذج المتطرفة لهذه الدراسة المعمليّة للإنسان، تلك الدراسة التي أشار إليها **هوارد** في كتابه" **المدرسة الصحيحة للجنس البشريّ**"، والتي أرجع فيها الإنسان إلى كمّيّات من الدهن و الكاربون و الفوسفور والجير وغيرها من الموادّ .إلّا أنّ هذا التحليل المادّي المتطرّف لطبيعة الإنسان لا يتماشى مع روح الإسلام وتعاليمه التي تؤكّد في وضوح أنّ الإنسان هو جسم وعقل و روح، وأنّ هذه العناصر المترابطة المتشابكة تشكّل كُلا متكاملًا يصعب إخضاعه لمثل هذا التحليل المعملي البسيط.

يؤكّد **أندرو كونواي إيفي** في كتاب" الله يتجلّى في عصر العلم "أنّ النواحي الروحانيّة والأخلاقيّة في حياة الإنسان وما ينبغي أن تفعله، لها أهمّيّة بالغة بالنسبة لسلامة الإنسان ورفاهيّته، وهي أهمّيّة تفوق أهمّيّة معرفته و سيطرته على الطبيعة غير الإنسانية.

فعلماء الإسلام عندما يعترفون بوجود هذه الأبعاد الرئيسيّة للشخصيّة الإنسانية و هي الجسم والعقل والروح، يؤكّدون على ضرورة اتّساقها وتعاونها وانسجامها وإرضاء مطالبها جميعًا بدون إفراط، فهم يدركون الأهمّيّة البالغة لكلٍّ منها بالنسبة للحياة الإنسانية.

لقد أدرك فلاسفة وعلماء الإسلام أهمّيّة العقل، حتّى اعتبره بعضهم أهمّ ما في الإنسان أوهمّ ما يميّزه عن الكائنات الحيّة الأخرى، كما اعتبروا أنّ مزاولة التأمّل هي أكمل حالات الوجود الإنسانيّ . ويوضّح الدكتور **زكريا إبراهيم** خصائص الإنسان في أنّه ذلك الوجود البشري أو المخلوق المتسائل الذي يكاد لا يكفّ عن إثارة المشاكل و التساؤلات، فالإنسان دائما يتساءل

لأنّه لا يرى في ما حوله حلولًا جاهزة، لذلك فهو مضطرّ إلى أن يبحث عن التفسير الذي يزيح النقاب عن السرّ .فالإنسان لا يتفلسف لأنّه يشقى و يتألّم فحسب، بل هو يتفلسف لأنّه يملّ ويسأم.

إنّ ما يمتاز به الإنسان من حيث طبيعته الاجتماعيّة هو ميله إلى الحياة في مجتمع إنسانيّ ونحو بناء علاقات اجتماعيّة متنوّعة مع غيره بما زوّده الله من عقل و عواطف، و على اكتساب خبرات جديدة و على تغيير سلوكه حسب مقتضيات البيئة الاجتماعيّة و الطبيعيّة التي يتفاعل معها ويعيش فيها . وفي الوقت الذي يشعر فيه الإنسان بحاجته إلى الانتماء إلى جماعة والى مجتمع، فإنّه يظلّ حريصًا على الحفاظ على شخصيّته المستقلّة وكيانه المستقلّ، ومن ثمّ يمكن القول بأنّ النزعة الفرديّة موجودة جنبًا إلى جنب مع الرغبة الجماعيّة الملحّة في الإنسان .وقد اعترف الإسلام بهذه النزعة الفطريّة في الإنسان فمنحه شخصيّة مستقلّة لها دورها الفعّال في بناء المجتمع.

كذلك يمتاز الإنسان باستعداده لبناء الثقافة والحضارة وصنع التقدّم وبقدرته على المساهمة مع غيره من بني البشر في ذلك البناء والصنع .فالثقافة التي من بين معانيها ذلك التراث المتراكم من المعارف والمفاهيم والأفكار والآراء والرموز ذات الدلالة والعادات ، التقاليد ، القوانين ،القيم ، المعتقدات، أساليب ، أنماط الحياة المختلفة والمؤسّسات الاجتماعيّة في مفهومها المعنويّ ، هي نتاج للتفاعل الفكريّ والاجتماعيّ للإنسان مع أخيه الإنسان، ولتفاعل الإنسان مع بيئته العامّة الثقافيّة والاجتماعيّة و الطبيعيّة .و كما يمتاز الإنسان بخاصّيّة العقل، فإنّه يمتاز أيضا بخاصّيّة الروح التي من مظاهرها النزعة نحو التديّن والنزعة الأخلاقيّة و الإرادة، و في المقابل فهو يمتاز بتقلّب طبيعته و تردّده بين حالات السموّ الروحيّ التي تصل به أحيانًا إلى مستوى الملائكة.

لقد توفّر للمسلمين منذ القدم الأسلوب العلمي و المنطقي في البحث، خاصّة في مجال العلوم الطبيعيّة و الكيمياء، والطب والصيدلة والعلوم الكونيّة .ويُعتبر **الفارابي** من المتقدّمين

في تاريخ تقدّم الفكر، ومن أبرز علماء العرب الذين حاولوا أن يؤسّسوا منهجًا لعلم الاجتماع، وعلى الرغم من أنّه تأثّر بفكر **أرسطو** و**أفلاطون**، إلّا أنّه حاول أن يدمج كلّ ذلك بالفكر الإسلامي من خلال كتابه المشهور" **آراء أهل المدينة الفاضلة**"، الذي أقرّ فيه عن بداية الاهتمام بالحاجة الإنسانية إلى الاجتماع و التعاون، بمعنى أنّ اجتماع الإنسان بأخيه الإنسان هو ضرورة فطريّة و اجتماعيّة، فعندما يتمّ الاجتماع يتحقّق التعاون من خلال تقسيم العمل الاجتماعي على أقوام تختصّ كلّ فئة بحرفة أو مهنة معيّنة، ومن ثمّ يتحقّق التكامل. **(بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلاني، ص ص 59،60).**

والواقع أنّ **الفارابي** الذي تأثّر بجمهوريّة **أفلاطون** وارآء **أرسطو** السياسيّة، قد جمع كلّ ذلك ومزجه بتعاليم الدين الإسلامي ليضع تصوّره حول المدينة الفاضلة، إلّا أنه لم يؤسّس لمنهج معيّن، لأنّ تفكيره مزيج من الفلسفة والتصوّف وهو أقرب إلى التفكير الفلسفي.

وفي نفس هذا السياق التاريخي الفكري، يقول **جورج سارتن** أنّ **ابن سينا** يُعتبر من أعظم علماء الإسلام و مشاهير العلماء العالميّين .وبالنظر إلى **ابن الهيثم** فقد قلّب الأوضاع القديمة و أنشأ علمًا جيدًا أبطل فيه علم المناظر و أنشأ علم الضوء الحديث، وأنّ أثره في الضوء لا يقلّ عن أثر **نيوتن** في الميكانيكا. كما يُعتبر **البيروني** من أهمّ روّاد التفكير العقلاني الذين عرفهم التاريخ، و**الغزالي** من أعجب الشخصيّات التاريخيّة الإسلاميّة . ويصرّح **بيكون** بأنّ **ابن رشد** فيلسوف متين متعمّق صحّح الكثير من أخطاء الفكر الإنسانيّ وأضاف إلى ثمرات العقول ثروة قيّمة في التاريخ الفكري الإسلامي. **(زنقوفي فوزية،2018، ص 64.)**

ممّا سبق يمكن الحديث عن **تيّارين في المدرسة الإسلامية لعلم الاجتماع** :تيّار أوّل يربط أسلمة العلوم الاجتماعيّة بالمواضيع المتّصلة بالإسلام تراثًا و واقعًا وفكرا ، والثاني يربط ذلك بالعقائد الإسلاميّة لقد ظهرت النظريّة الاسلاميّة في السوسيولوجيا كردّ فعل على الكتابات

السوسيولوجيّة الوضعيّة و الماركسيّة، وقد ظهرت إلى أسلمة العلوم الاجتماعيّة كبديل للتناقضات التي وقع فيها هذا الفرع من العلوم الإنسانية. كما ظهرت دعوات جديدة لتأصيل علم الاجتماع في الوطن العربيّ يمكن تصنيفها إلى ثلاث تجارب سوسيولوجيّة كبرى :علم الاجتماع العربي، تجربة علم الاجتماع القومي و تجربة علم الاجتماع الإسلامي.

ومن أهمّ السوسيولوجيّين الذين دافعوا عن علم الاجتماع القوميّ، الباحثان المصريّان :**أحمد الخشّاب** في كتابه" التفكير الاجتماعي– دراسة تكامليّة للنظريّة الاجتماعيّة "–و**عبد الباسط عبد المعطي** في كتابه اتّجاهات نظريّة في علم الاجتماع" .ومن جهة أخرى يعدّ السوسيولوجي العراقي **معن خليل عمر** من المدافعين الغيورين عن علم اجتماع عربي، كما يتجلّى بوضوح في كتابه" نحو علم اجتماع عربي. **(زنقوفي فوزية،2018، ص 64)**

ترتكز النظريّة الإسلامية في علم الاجتماع على رفض التصورات السوسيولوجيّة الوضعيّة والماركسيّة و رفض دراسة واقع المجتمع العربي في ضوء النزاعات العربيّة، القوميّة، الفئويّة، الحزبيّة، الإيديولوجيّة والإثنيّة، ومن ثمّ التركيز على المنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة .وفي هذا السياق يقول البروفيسور **روزنثال** عن **ابن خلدون** بأنه يُعتبر المفكّر السياسي الوحيد في الإسلام، لأنّه أقام نظريّاته على تجربته كرجل دولة و على مقابلاته مع الحكّام المسلمين ووضع نظريّات سياسيّة عن أنظمة الحكم المختلفة، فلقد برهنت النظريّة السياسيّة **لابن خلدون** أنها دراسة أصيلة للمسائل السياسيّة و الظواهر الطبيعيّة الوثيقة الصلة بكلّ من الإسلام و الفكر السياسي، كما تُعتبر مقدّمته بحثا في النقد التاريخي و في علم الاجتماع.

لقد تمثّل الفكر الخلدوني في دراسة الوقائع و الظواهر الاجتماعيّة بغية تأصيل علم الاجتماع وتأسيسه، وقصد الانتقال من التبعيّة والتقليد إلى الإبداع والتجديد والابتكار و إعادة الثقة في الذات المسلمة و لتحقيق التمسّك الاجتماعي بالهويّة و الأصالة و الخصوصيّة وقراءة التراث الاجتماعي العربي القديم في ضوء رؤية إسلامية عميقة، لذلك يتّخذ منهج البحث الإسلامي

عند المسلمين من الدين الإسلامي قاعدة عامّة يستند إليها، فهو لا ينكر المبادئ العامّة لعلم الاجتماع و لكنّه يستفيد منها و يخضعها لمبادئ الإسلام .

فالباحث في علم الاجتماع الإسلامي ينظر إلى المشكلات الاجتماعيّة و الظواهر و النظم ليس باعتبارها مجرّدة ولكن تقوم على التساؤل التالي :هل هي تدخل في صميم النظم الاجتماعيّة؟ أم هي دخيلة؟، فلا يعني ذلك التحيّز أو الابتعاد عن الموضوعيّة التي يتطلّبها البحث الاجتماعيّ، بل على الباحث الإسلاميّ أن يكون موضوعيا وهو يبحث مشكلات البحث الإسلامي، فمثلا حين بحثه في الطلاق أو تعدّد الزوجات أو الربا، عليه أن يلتزم الحياد التامّ، بحيث يجمع و يقارن ويستعمل نفس الأدوات المنهجيّة المعروفة في العلوم الإنسانية.

لقد كانت المنهجيّة العلميّة واضحة عند العلماء المسلمين بفضل التحقيقات والاستقصاءات العلميّة القائمة على أسلوب التفكير العلميّ والدقّة والاستنتاج، وقد سار علماء الإسلام في مختلف فروع المعرفة الإنسانية على هذه الأسس العلميّة التي تميّز من خلالها التفكير الإسلامي بالموضوعيّة و الأمانة العلميّة و البحث عن الحقيقة . ويرى **البيروني** أنّه على الباحث الاستدلال بالمعقولات و قياس الآراء لمعرفة الأسباب المخفيّة لصاحبها عن الحقّ كالعادة المألوفة والتعصّب والتظاهر و إتباع الهوى و التغالب بالرياسة، فلا يأخذ الباحث إلّا ما يوافق العقل .لذلك اعتمد علماء الإسلام الشكّ والتجربة في البحث العلمي، حيث أوضحت رسائل إخوان الصفا منهج البحث العلمي في صناعة الفكر، وهذا ما يدلّ على الاتّجاه العلمي لدى مفكّري الإسلام .و هكذا يكون الفضل للعرب في تأسيس المنهج العلمي و وضع قواعده و لقد لخّص علماء الإسلام المعرفة في ثلاثة أشكال:

- المعرفة الشرعيّة التي تستند إلى كتاب الله وسنّة رسوله، وتتضمّن العقائد والعبادات وعلوم القرآن والحديث.
- المعرفة العقليّة التي نتحصّل عليها من خلال العقل والمنطق وعلماء الفلسفة.

– المعرفة التجريبيّة و التي يتوصّل إليها الإنسان من خلال المشاهدة و التجربة.

وعمومًا احتوى الإسلام جملة من القواعد و الضوابط اللازمة في طلب العلم، ممّا جعل منهجيّة البحث في الإسلام تتميّز عن غيرها من المنهجيّات الأخرى، خاصّة في ما يتعلّق في التلاؤم بين المنهج والموضوع والتناسب بين المجال المعرفي و إمكانية العقل الإنسانيّ.

فالتلاؤم بين المنهج و الموضوع هو من أبرز مميزات المنهجيّة الإسلامية و نجاحها في تحقيق العلم في كلّ المجالات، حيث أنّ لكلّ موضوع من المعرفة منهج يناسبه، فالبحث في الطبيعة و اكتشاف القوانين الإلهيّة في الظواهر الطبيعيّة يلائمه المنهج التجريبي، والبحث في إثبات الأخبار والروايات يلائمه المنهج التاريخي ...وهكذا يصبح لكلّ نوع من المعرفة منهج يلائمه، بحيث تتولّد المعرفة الصحيحة من تطبيق المنهج المناسب لكلّ مجال من مجالات المعرفة .لذلك فإنّ عدم مراعاة التناسب بين المنهج و الموضوع يؤدّي إلى فساد كبير في مجال العلم.

وبالنسبة للتناسب بين المجال المعرفي و إمكانية العقل الإنسانيّ ، فهو ما يميّز المنهجيّة الإسلامية عن المنهجيّات الأخرى، لأنّ الإسلام لا يريد أن يبدّد طاقة العقل دون فائدة ولا يريد أن يجزّ بالعقل في مجالات من البحث فوق قدراته، بما يجعله يتخبّط و لا يصل إلى علم صحيح، مثل البحث في الأمور التي استأثر الله بعلمها.(**مكّي مصطفى، 2013،ص 83.)**

2. المدرسة الماركسية:

يُعتبر كارل ماركس من أشهر وأهمّ علماء الاجتماع الألمان الذين ساهموا في نموّ وتطوّر علم الاجتماع وتحوّله من علم فلسفي غير دقيق إلى علم واضح المعالم والأسلوب والمنهجيّة والأهداف .وُلد في ألمانيا عام 1818 م، أكمل دراسته في جامعة جينا الألمانية، وبعد

تخرّجه من الجامعة و حصوله على شهادة الدكتوراه، عمل صحفيا و نشر العديد من المقالات السياسيّة و الاقتصاديّة التي يطغى عليها الأسلوب الراديكالي الثوري.

ومن خلال مقالاته الصحفيّة كان يدعو للتغيّر و الثورة و قلب نظام الحكم في ألمانيا بالقوّة و نقل السلطة من الملك إلى الشعب، ومثل هذه الكتابات دفعت الحكومة الألمانية إلى طرده من البلاد، فذهب إلى فرنسا و بلجيكا بعد حصوله على اللجوء السياسيّ هناك، ولكن سرعان ما طردته الحكومتان الفرنسيّة و البلجيكيّة عندما علمتا بأفكاره الثوريّة التي تريد قلب نظام الحكم عن طريق اعتماد أساليب العنف والقوّة، فذهب بعد ذلك إلى إنجلترا 1851 م بعد حصوله على حقّ اللجوء السياسيّ أين مكث فيها بقيّة حياته، عمل مكتب يا في مكتبة المتحف البريطاني، كان يتلقّى المساعدات الماليّة المستمرّة من صديقه **فريديريك انجلز** .وفي مكتبة المتحف البريطاني استطاع كتابة معظم مؤلّفاته و التي من أهمّها مؤلّفه الشهير "رأس المال".

عمومًا عاش **ماركس** في أجواء يسيطر عليها الفقر والحرمان والاضطهاد نتيجة للأفكار الثوريّة التي كان يحملها والكتابات الاستفزازيّة الجريئة التي كان ينشرها في الصحف، وكما سبق فإنّ مؤلّفاته قد عبّرت جميعها عن أفكاره الفلسفيّة و الاجتماعيّة و الاقتصاديّة والسياسيّة، ووضّحت طبيعة نظريّاته و طروحاته و قيمه الثوريّة . فقد تعلّم من **فخته** الأفكار المثاليّة التي تدعو إلى تقدّم روح الجماعة على روح الفرد، ومن **هيجل** استعار القوانين الشموليّة التي ترسم المسارات التاريخيّة لحركة المجتمعات وتربط بين الماضي والحاضر و المستقبل ربطًا علم يا موزونًا .فقد تبنّى **ماركس** مدخلًا جدليا دياليكتيكا في تناوله للمجتمع وعلاقة أجزائه، مفترضًا أنّ المجتمع الإنسانيّ يتطوّر وفق قوانين، وبهذا يمكن التوصّل إلى نظريّة علمية تفسّر تشكّل المجتمع وتطوّره .فالتاريخ كما يقول **هيجل** ويعترف به **ماركس** هو عمليّة الخلق الذاتيّ للإنسان.

ولكنّ هذه العمليّة كما يؤكّد ماركس في معظم كتاباته تتأثّر بالقوى الدافعة للعمل البشري أي بعلاقات الإنتاج والملكيّة ، وقد أخذ ماركس من **هيجل** المذهب الجدلي في فهم تاريخ الإنسانية و إدراك الحوادث و الربط بينها .فجميع المصادر الفكريّة التي تأثّر بها كارل ماركس قد أعطت طابعًا مميزا لكتاباته العلمية وفي إبراز اتّجاهاته النظريّة المتجسّدة خاصّة في النظريّة الاجتماعيّة و السياسيّة والتي تركّزت في النقاط الرئيسيّة التالية :

- العلاقة الجدليّة بين البناء أو الأساس المادّي والبناء الفوقي للمجتمع.

- الاغتراب و الصراع الاجتماعيّ.

- الطبقات الاجتماعيّة والصراع الطبقيّ.

- الثورة الاجتماعيّة. **(إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد ، ص141 ،140)**

لقد اختار **ماركس** العوامل الاقتصاديّة كمسبّب أساسيّ لعمليّة التطوّر في قوله" أنّ الإدراك المادّي للتاريخ يستخلص الظواهر الاجتماعيّة وتطوّرها لا من المشيئة الإلهيّة و الفكر المطلق ولا من إرادة الفكر، بل من الظروف الواقعيّة لنشاط الناس العمليّ و من الإنتاج المادّي الذي يشكّل مراحل تطوّره و التشكيلات الاجتماعيّة المحدّدة تاريخيا." **(إبراهيم عثمان، 1999، ص21.)**

العلاقة بين الأساس المادّي والبناء الفوقي للمجتمع : يعتقد ماركس أنّ البناء المادّي للمجتمع أي موارده الطبيعيّة والبشريّة ومصادر رزقه ووسائل استغلاله الطبيعيّة هو الذي يحدّد ماهيّة البناء الفوقي للمجتمع، أي يحدّد أفكار وايديولوجيّة وفلسفة ودين وقيم وأخلاق المجتمع . وإذا ما تغيّر البناء المادّي لسبب أو لآخر فإنّه يترك انعكاساته وآثاره على البناء الفوقي، وبالتالي يتغيّر البناء الاجتماعي من نمط لآخر ويدخل المجتمع في مرحلة حضاريّة تاريخيّة لم يشهدها المجتمع من قبل .فعلاقات الإنتاج والملكيّة في المجتمع الإقطاعي تساهم في ظهور أفكار وقيم ومُثل اجتماعيّة تعمل على إهانة العامل وتحتقر المرأة و تحارب

مفاهيم الديمقراطيّة و التقدّم، وفي المقابل تحترم رجال الدين و الفئة العسكريّة، و لكن عندما يسقط النظام الإقطاعي و يحلّ محلّه النظام الرأسمالي تتغيّر أنماط الإنتاج و مستويات المعيشة ونوعيّة المهن، وهذا التغيّر يحمل معه قيمًا و مقاييسًا و مُثلًا جديدة، تحترم العمل الصناعي والتجاري وتقيّم العلم و المخترعات الحديثة و تفضّل استقلاليّة الفرد على تماسك و وحدة الجماعة. **(إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، ص 142.)**

وعليه فإنّ المادّيّة التاريخيّة ترى أنّ أسلوب إنتاج الثروة هو الذي يشكّل الأساس المادّي الاقتصاديّ ، وهو الأساس الذي يترتّب عليه تشكيل أوجه المجتمع الأخرى بما في ذلك الأفكار والمعرفة والوعي. وكما سبق، ينظر **ماركس** إلى المجتمع كنسق يتكوّن من المستوى التحتيّ أو الأساسيّ والمستوى الفوقيّ، حيث يشمل المستوى التحتيّ قوى الإنتاج(العاملون، التجهيزات،رأس المال و الأدوات)، بينما يتضمّن المستوى الفوقيّ علاقات الإنتاج(حقوق الملكيّة، العلاقات التنظيميّة، الأفكار السياسيّة والتشريعيّة وأشكال الوعي الاجتماعيّ.)

الاغتراب و الصراع الاجتماعي: استعمل **ماركس** اصطلاح الاغتراب الاجتماعي في نظريّته العامّة عندما حاول تفسير عوامل المنافسة والصراع و التناقض بين طبقات المجتمع، فالاغتراب حسبه هو ظاهرة اجتماعيّة يشعر فيها الإنسان بالاغتراب والبُعد عن الشيء الذي ضحّى من أجله، مثل شعور العامل بالاغتراب عن صاحب العمل، فهو يشعر بالحواجز النفسيّة و الاجتماعيّة التي تفصله عنه، كما يشعر بالاغتراب عن السلعة التي أنتجها و بذل فيها مجهودات ذهبت إلى صاحب العمل الذي يمتلك وسائل الإنتاج .وبمرور الزمن يجد العامل بأنّ جهوده التي يبذلها في الإنتاج تقف ضدّه وتحدّ من حرّيته و تقتل عنده روح العمل و الإبداع، لأنّ مردود تلك المجهودات يعود إلى صاحب العمل، فالعامل غالبا ما يبذل جهودًا تزيد قيمتها عن الأجر المحدّد، و هذا ما يؤدّي إلى توسيع القاعدة الإنتاجيّة و زيادة كمّيات الإنتاج، و يؤدّي تراكم رأس المال في النهاية عند المنتج إلى اغتراب العامل عن المنتج و نشوء الصراع و المنافسة بينهما.**(جورج غوريفتش، 1973، ص6.)**

كما استخدم **ماركس** ظاهرة الاغتراب في السياسة، بمعنى أنّ الفرد هو الذي يخلق الدولة لتنظيم أموره و إنهاء النزاع بينه و بين الآخرين، ولكن سرعان ما يعتقد بأنّه مغترب عنها نتيجة للفجوة التي تفصل بينه وبين الدولة، فيبدأ بالخوف منها والابتعاد عنها شيئًا فشيئًا، ويعتبرها قوّة تقيّد عمله و حرّيته .فالاغتراب عند **ماركس** غالبًا ما يؤدّي إلى الصراع بين المغترب و الشيء المغترب عنه، وهذا الصراع قد يؤدّي إلى الثورة و التحوّل.

الطبقات الاجتماعيّة والصراع الطبقيّ: مهّد **سان سيمون** و أتباعه لمشكلة الطبقات الاجتماعيّة ممّا ساهم في إبراز هذه المشكلة لدى **ماركس** و الماركسيّة، بحيث تظهر أربع طبقات اجتماعيّة استنادًا إلى **أوفربرغ** و هي البرجوازيّة الرأسماليّة، البروليتاريا، ملّاك العقارات الذين ينحدرون من طبقة النبلاء الإقطاعيّين، البرجوازيّة الصغيرة و التي تضمّ الصنّاع والفلّاحين .لكن **جورج غوريفتش** يؤكّد أنّ ملكيّة وسائل الإنتاج قد تكون من الآثار المترتّبة عن تقسيم المجتمع إلى طبقات بدلًا من أن تكون أساسًا للطبقات، وأنّ الطبقات الأربعة السابقة ليست متميّزة السمات إلّا بالنسبة إلى حقبة معيّنة من الرأسماليّة التنافسيّة، وأنّ مسألة وجود طبقات في أنماط المجتمع لا تزال مفتوحة على مصراعيها. كما أنّ مشكلة الوعي الطبقي و الإيديولوجيا الطبقيّة تتطلّب تحليلًا عميقًا.

إنّ الطبقة لم تواجه في الفكر الماركسيّ إلّا نوعين من المجموعات الخاصّة :الدولة و الحزب السياسيّ ، وهذا من أجل إثبات أنّ الدولة هي بالضرورة الهيئة السياديّة للطبقة، وأنّ الحزب السياسيّ هو دائمًا أداة للصراع الطبقيّ، فالطبقات و الصراع الطبقيّ بالمفهوم الماركسيّ يتشكّلان على أساس تقسيم المجتمعات إلى مجتمعات مالكة لوسائل الإنتاج أو غير مالكة لها، و بالتالي رفض **ماركس** دعاوي المفكّرين المثاليّين أمثال **جون ستيوارت ميل** بأنّ الطبقات ليست إلّا نتاجًا للّامساواة في توزيع الدخل، ومن ثمّ يمكن تخفيف حدّة الصراع الطبقيّ أو حتّى إزالته عن طريق التقليل من المداخيل التي يحصل عليها الناس.

(زنقوفي فوزية، 2018، ص 70.)

ومن هذا المنظور يتكوّن المجتمع الطبقيّ من طبقات أساسيّة و طبقات غير أساسيّة أو ما يمكن تسميته بالفئات الاجتماعيّة .فالطبقات الأساسيّة ترتبط بنمط الإنتاج في مجتمع معيّن من المجتمعات الطبقيّة أين نجد طبقة ملّاك وسائل الإنتاج و طبقة المعدومين المقهورين التي تقف في مواجهة الطبقة الأولى، ففي المجتمع العبوديّ نجد طبقتين أساسيّتين هما طبقة أصحاب العبيد و العبيد، وفي المجتمع الإقطاعيّ نجد طبقتين أساسيّتين هما طبقة الإقطاعيّين وطبقة الفلّاحين، وفي المجتمع الرأسمالي نجد طبقتي البرجوازيّة والبروليتارية.

يرى **كارل ماركس** أنّ الرأسماليّة كطبقة يستحيل عليها أن تحقّق تراكما لرأس المال ومزيدًا من الثروة ما لم تحصل دائمًا على فائض قيمة عمل العمّال، فالعامل يضطرّ دائمًا إلى بيع قوّة عمله لأصحاب الأعمال في سوق العمل الذي يحدّدون قواعده باستمرار، هذا الاستغلال هو أساس الصراع الدائم بين الطبقة الرأسماليّة و طبقة العمّال .إنّ الصراع الطبقيّ هو القوّة الدافعة ومصدر التطوّر في المجتمع الطبقيّ .فكلّما زادت حدّة الصراع و أصبحت الطبقات المستغَلّة أكثر تنظيمًا وشدّة في صراعها ضدّ مست غلّيها كلّما كان تطوّر المجتمع أسرع.

لقد أصبح مفهوم الطبقة الاجتماعيّة دالا على أهمّ الوحدات الاجتماعيّة، والتي تُعرف بأنها المجموعة المتماثلة اقتصاد يا واجتماع يا من خلال علاقة متماثلة بوسائل الإنتاج، حيث تؤدّي إلى بروز طبقتين أساسيّتين بين التي تملك مقابل التي لا تملك وتعمل في الإنتاج . وهذا لا يعني عدم وجود فئات أخرى، و إنما يعتبرها **ماركس** جماعات هامشيّة تتحوّل ضمن عمليّة الاستقطاب إلى أحد الطرفين. ويتضمّن هذا الطرح ما يلي:

– أنّ ذوي الأوضاع الاقتصاديّة المتماثلة يميلون إلى العمل كجماعة مصلحة، ممّا يؤدّي إلى العمل المشترك والصراع ضدّ الطبقة الأخرى.

– أنّ الطبقات الاجتماعيّة الاقتصاديّة هي أهمّ الجماعات في البناء الاجتماعيّ، وأنّ تاريخ علاقاتها هو تاريخ المجتمع الإنسانيّ.

– إنّ العلاقة الأساسيّة بين الطبقات هي علاقة تناقض وصراع، وأنّ ناتج عمليّات الصراع هو الذي يقرّر كيفيّة تطوّر المجتمع.

– أنّ النظم التي تقوم على الملكيّة الخاصّة لوسائل الإنتاج تحمل بذور التناقض و إمكانية استغلال الإنسان للإنسان .فالنظام الرأسماليّ يسمح للمالكين باستغلال الطبقة البروليتاريّة العاملة، ممّا يؤدّي إلى الصراع فالثورة، لهذا فإنّ تغيّر المجتمع من نمط إنتاج قائم إلى نمط إنتاجي جديد يضمن علاقات إنتاج أفضل ممّا كانت سابقًا.

الثورة الاجتماعيّة :هي تغيير شامل يمسّ النظام والمؤسّسات الفوقيّة والتحتيّة، تقوم به الطبقة المظلومة بعد تعرّضها للاستغلال والظلم، لذلك يعتقد **ماركس** بأنّ المجتمع لا يمكن تغييره نحو الأفضل ومن ثمّ إزالة الظلم والتعسّف الاجتماعيّ عنه، إلّا من خلال الثورة الاجتماعيّة التي يمكن أن تقوّض أركان نظام الحكم وتقضي على الاستبداد .فالثورة البروليتاريّة يمكن أن تحرّر المجتمع من سيطرة الطبقات الأرستقراطيّة و البرجوازيّة، وأنّ الديمقراطية و العدالة الاجتماعيّة لا يمكن أن تتحقّقا في المجتمع دون قيام الطبقة البروليتاريّة، لكنّ هذه الأخيرة المتواجدة في المجتمع الرأسمالي لا يمكن أن تقوم بهذه الثورة وحدها نظرا لتعرّضها للظلم و الحرمان، و أنّ انخفاض مقدرتها الاقتصادية و الاجتماعيّة في حاجة إلى عقد اتّفاق تكتيكيّ مع الطبقة البرجوازيّة الصغيرة و الكبيرة للوقوف في وجه الطبقة الأرستقراطيّة و تدمير مصالحها ونفوذها، وبعد انتصارها على هذه الطبقة تعود من جديد للاتّفاق مع الطبقة البرجوازيّة الصغيرة للوقوف ضدّ الطبقة البرجوازيّة الكبيرة، وعند انتصار الطبقة البروليتاريّة، تعلن العداء المكشوف بوجه الطبقة البرجوازيّة الصغيرة، وهنا تُلغى طبقات المجتمع كافّة أين يعمل الإنسان حسب طاقته و يكسب حسب حاجته، فالثورة حسب التحليلى الماركسيّ هي مفتاح التقدّم، وحدوثها لا يمكن أن يتمّ دون وجود الطبقات المتناقضة والمتصارعة والمتزامنة مع الظلم و الفساد. **(زنقوفي فوزية، 2018، ص 72.)**

الوجود الاجتماعيّ والوعي الاجتماعيّ :يؤكّد **ماركس** أنّ الأساس الاقتصاديّ المادّيّ للمجتمع هو الذي يشكّل بناء الوعي الاجتماعيّ، وأنّ القوى الأساسيّة المحرّكة للتاريخ هي القوى الاقتصاديّة الاجتماعيّة وليست القوى الفكريّة، وأنّ علاقات الإنتاج هي أساس الوعي الاجتماعيّ، فالوعي الاجتماعيّ في المجتمعات الاشتراكية يختلف عنه في المجتمعات الرأسمالية، وعليه فإنّ الوجود الاجتماعيّ المتمثّل في النشاط الإنتاجي المادّيّ للأفراد هو الذي يحدّد وعيهم الاجتماعيّ، بمعنى أنّ الوعي ليس في علاقة سببيّة مع الوجود و لكن الوعي يؤثّر تأثيرا إيجابيا على الوجود، فالوجود الاجتماعيّ للأفراد هو الذي يتغيّر أوّلًا، ثمّ يتبعه تغيّر في وعيهم، لكن في ظروف معيّنة يمكن أن يسبق الوعي الاجتماعيّ الوجود الاجتماعيّ، فالأشخاص الذين يقومون بتحليل قوانين المجتمع و يكشفون عن الاتّجاهات العامّة للتطوّر التاريخيّ ، يمكنهم أن يتنبّؤوا بالمستقبل و يشكّلوا نظريّات تسبق عصرهم و توضّح الطريق للمستقبل.

إنّ التفسير المادّي للمجتمع و تطوّره يقوم أساسًا على افتراض أنّ الوجود يشكّل الفكر و الوعي، و على هذا الأساس فإنّ المستوى التحتيّ هو أساس تشكيل المستوى الفوقيّ، و أنّ أيّ تغيير فيه يؤدّي إلى تغيرات في المستوى الفوقيّ" فالناس يدخلون في علاقات إنتاج محدّدة، تعكس مرحلة تطوّريّة معيّنة للقوى المادّيّة للإنتاج ...وتشكّل هذه القاعدة الاقتصاديّة والحقيقيّة ...التي تقرّر أوجه الحياة الاجتماعيّة و السياسيّة و الثقافيّة ".

وعليه فإنّ **ماركس** قال بأسبقيّة المادّة على الوعي، و بنى علم الاجتماع على أساس الوجود الاجتماعيّ و الوعي الاجتماعيّ، فالوجود الاجتماعيّ يتجسّد في الظواهر المادّيّة المجتمعيّة ويشمل نشاط الأفراد الموجّه نحو إنتاج الموادّ و السلع الأساسيّة لاستمرار الحياة، حيث يتمّ باستغلال أدوات العمل و التأثير على الطبيعة و تسخيرها لإشباع حاجات المجتمع، كما يشمل هذا الوجود الاجتماعيّ العلاقات المادّيّة التي تنشأ داخل الأسرة و بين أفراد العائلة و بعض من العلاقات الثقافيّة و اليوميّة الأخرى، أمّا الوعي الاجتماعيّ فهو كلّيّة الأفكار و

النظريّات و وجهات النظر والمشاعر والأعراف و التقاليد الموجودة في مجتمع من المجتمعات و التي تعكس الوجود الاجتماعيّ للناس.

تقييم فكر ماركس:

لقد بالغ في أهميّة العامل المادّيّ واعتبره العامل المحرّك للعلاقات وسلوك الأفراد والجماعات، و هذا يتناقض مع الحقيقة و الواقع، حيث لا يمكن اعتماد العامل المادّيّ في تفسير الوجود الاجتماعيّ بأركانه الذاتيّة و الموضوعيّة، فهناك علاقة جدليّة و تفاعل مستمرّ بين العالم المادّيّ و المثاليّ أو القيميّ، و بالنظر إلى الصراع الطبقيّ لا توجد طبقات اجتماعيّة متخاصمة، فالحدود بين الطبقات ليست واضحة بسبب ظاهرة التغيّر الاجتماعيّ، لأنّ الصراع لا يكون بين الطبقات بل بين أبناء الطبقة الواحدة، و عليه لا يمكن تفسير سقوط المجتمعات بعامل الصراع الطبقيّ كما ادّعى **ماركس**، فسقوط المجتمعات وانهيارها كانهيار المجتمع الإقطاعيّ يرجع إلى عدّ عوامل رئيسيّة أهّمها ظهور المدن وتوسّعها، ارتفاع قيمة النقود وقوّة الدولة وتطوّر المفاهيم القيميّة و الاجتماعيّة للعصر، إضافة إلى اضمحلال قوّة الإقطاعيّين و أصحاب الأراضي و عدم سيطرتهم على الفلّاحين.

لا يعني التفسير المادّي الاقتصادي لتاريخ الإنسان و المجتمع أنّ الناس تحرّكهم الدوافع الاقتصاديّة وحدها وإنما رأت الماركسيّة أنّ العنصر الأساسيّ هو إنتاج و إعادة إنتاج الحياة الحقيقيّة، فبعض عناصر البناء الفوقيّ تستمرّ حتّى بعد زوال الظروف المادّيّة التي أنتجتها. نستنتج ممّا سبق أنّ النظريّة الماركسيّة ذات طبيعة ثوريّة تدعو إلى العمل على تغيير الواقع الاجتماعيّ وخلق أوضاع جديدة ومتطوّرة، ولهذا فإنّ المدرسة الماركسيّة في علم الاجتماع تبني مدخل دراستها على بحث الواقع الاجتماعيّ بناءً على الأسس النظريّة الكبرى.

(محمد عاطف غيث، 1975، ص305.)

وعمومًا تستند الماركسيّة على :الفلسفة الألمانيّة(فلسفة هيجل)و الاشتراكيّة الفرنسية و أفكار سان سيمون و الدراسات الاقتصاديّة، فعلم الاجتماع الماركسيّ قائم على منهجين هما المنهج الجدليّ و المنهج التاريخيّ، حيث ساعد المنهج التاريخيّ على كشف القوانين العامّة

والقوانين النوعية للتطوّر الاجتماعيّ، و ساعد المنهج الجدليّ على التمييز الموضوعيّ و الذاتيّ في الحياة الاجتماعيّة و كذلك التمييز بين العامّ و الخاصّ، الضروريّ و غير الضروريّ، الاجتماعيّ و غير الاجتماعيّ، و هذا ما ساعد على إكساب علم الاجتماع طابعه العلميّ و النوعيّ في الوقت ذاته.(**عبد الباسط عبد المعطي، 1981، ص 82.)**

كانت المفاهيم الأساسيّة في نظريّة **ماركس** سوسيولوجيّة و كلّيّة بنائيّة يمكن دراستها و تحليلها، كما استهدفت تصوّراته الحالات المستقبليّة، فموقفه تفسيريّ و ليس تبريريّ . و بذلك يكون **لماركس** الفضل في نضوج علم الاجتماع بعدما أسّسه ابن خلدون.

3. مدرسة الماركسيّة المُحدَثة:

يُطلَق مصطلح الماركسيّة المُحدَثة على أولئك المفكّرين المتمسّكين بالماركسيّة التقليديّة(كما جاءت عند ماركس)كإطار نظري ومنهجي .ولقد لخّص عبد الباسط عبد المعطي في كتابه "اتّجاهات نظريّة في علم الاجتماع "تعريفًا إجرائيا للماركسيّة المُحدَثة في أنّ الماركسيّة الجديدة تستند إلى المفاهيم الماركسيّة ومنطقها المنهجي والقوانين العامّة التي توصّلت إليها، وأنها تتعامل مع القوانين النوعيّة للتطوّر الاجتماعي فالنظريّة المُحدَثة هي تلك الآراء التي ظهرت بعد النظريّة الماركسيّة الكلاسيكيّة للحفاظ على الإرث الماركسي الذي بدأ في التلاشي نتيجة سقوط المعسكر الشرقي و فقدانه للعديد من الدويلات التي كانت تحت سيطرة الاتّحاد السوفياتي، إضافة إلى عدم تحقّق تنبّؤ كارل ماركس بسقوط الرأسماليّة التي ستحلّ محلّها الاشتراكيّة ثمّ الشيوعيّة. **(عبد الباسط عبد المعطي، 1981، ص82.)**

وعمومًا فقد حافظت الماركسيّة المُحدَثة على مضمون الماركسيّة التقليديّة مع تعديل جزئي في معنى الص ا رع حسب المفهوم الماركسي .لذلك يرى الماركسيّون المُحدَثون أنّ االصراع يحمل مضمون الاحترام

للنظام والسلطة، واعتباره أداة للتغيّر والتحديث .وعليه يمكن التمييز بينهما من خلال:

- **الرأسماليّة و الامبرياليّة** :حيث اقترح **لوسيان جولدمان** استبدال مصطلح الرأسمالية عند **ماركس** بمصطلح الامبرياليّة عند **لينين** و**روزا لكسمبورغ**، وامتدادًا لهذا الطرح فقد أوضحوا حقيقة الأساليب التي يتّبعها الاستعمار الجديد في التعامل مع دول العالم الثالث من أجل الحفاظ على كبار الموظّفين ورشوة البورجوازيّات الوطنيّة والتأثير الإيديولوجي في المثقّفين، والتغلغل في المؤسّسات العلميّة والإعلاميّة والثقافيّة. **(علي غربي، 2007، ص152.)**
- **المسألة الطبقيّة و الثورة البروليتاريّة** :لم يضع **ماركس** نفسه تعريفًا للطبقة، فالتعريف الشائع هو الذي صاغه **لينين** في أنّ الطبقات هي جماعات من الناس تحتلّ مواقعًا متماثلة نسب يا في نظام الإنتاج الاجتماعي .ومن وجهة نظر **ماركس** يتمّ تحديد الطبقات من خلال موقعها من نظام الإنتاج و التنظيم الاجتماعي للعمل . فالماركسيّون الجدد يؤكّدون أنّ **ماركس** حصر الطبقات في(المستغلّة والمستغلَّة) وأنّ الدور الثوري للبروليتاريّة في حاجة إلى إعادة النظر خاصّة بعد التطوّرات التي طرأت على الطبقة العاملة في المجتمعات المعاصرة .وفي هذا السياق نجد مثلًا أنّ **فرانز فانون** حاول إبراز الدور الثوري للفلّاحين محاكيًا في ذلك تجربة **ماوتسي تونغ** دون أن ننسى مساندته المطلقة للثورة الجزائرية والمشاركة فيها .(**عبد الباسط عبد المعطي، ص 145.)**

وعمومًا، فإنّ الماركسيّين الجدد قد أثاروا العديد من التفاصيل التي لم يركّز عليها كارل ماركس، خاصّة في اهتمامهم بدور الأمّة والخصوصيّات القوميّة .كما أثاروا أيضا مسألة استغلال المدن للقرى في الدول النامية .فلقد تمحورت محاولات تطوير الماركسيّة حول إعادة العلاقات الجدليّة بين المستوى التحتي والفوقي .فهذا الطرح لم يكن مستمَدا من عدم توافق التراث الماركسي مع الواقع الجديد فقط، بل امتدّت أسباب ظهور الماركسيّة الجديدة لتشمل انتقادات الفكر البورجوازي التي تركّزت في الاهتمام بدراسة العلاقات الطبقيّة والثورة،

معارضين مفهوم التدرّج الذي يُخفي العلاقات الديناميّة المتناقضة للطبقات، فالماركسيّة الجديدة تنادي بالأخذ بالمنظور التكاملي و الكلّي إلّا من أخذ بمفهوم ما بعد الحداثة.

1.3. رواد الماركسية المحدثة:

جورج لوكاش (1971 – 1885) ، فيلسوف و عالم اجتماع ماركسي، حاول وضع نظريّة ماركسيّة في علم الجمال، اشتهر بكتابه" التاريخ و الوعي الطبقي"1923 عالج فيه عدّة قضايا و شكّك في صحّة المادّيّة التاريخيّة كما أدرجها ماركس و في الوعي المرتبط بالطبقات، وبالتالي فهو ضدّ التفسير العلمي الماركسي، لذلك قدّم آراءه في روّاد مدرسة فرانكفورت ، إلّا أنّه اشترك مع ماركس في تبنّي المنطق الجدلي **لهيجل**، ومن المفاهيم الأساسيّة التي تناولها **لوكاش** في تحليله للمجتمع الرأسمالي مفهوم الوعي والتشيؤ، وعلاقة كلّ منهما بالتغيّر و الثورة والعقلانيّة، حيث يتقابل مفهوم التشيّؤ عند **لوكاش** بمفهوم الاغتراب عند **ماركس**، فكلا المفهومين يُستخدمان في بحث و تحليل التناقضات في المجتمع. **(عبد المجيد البصير، 2010، ص 384.)**

أنطونيو غرامشي(1937 – 1891) ، مفكّر اجتماعي إيطالي، أصبح صحفيا شهيرا نشطًا في ميدان السياسة في التيار الماركسي، فهمه مغاير للماركسيّين الكلاسيكيّين حول البناء التحتي و البناء الفوقي، حيث يجب فهم مثل هذه المقولات بمعنى علاقاتها وفعاليّتها التاريخيّة لا بمعنى وجودها في الواقع .و القضيّة الأساسيّة التي ناقشها **غرامشي** هي قضيّة الهيمنة و السيطرة من خلال تملّك القوّة، حيث تبدأ الهيمنة بالانهيار مع تطوّر وعي الطبقات المحرومة والمستقلّة بمصالحها وتشكيل تنظيماتها المستقلّة، وتمتدّ السيطرة على قوى الإنتاج و علاقاته. **(إبراهيم عيسى عثمان، 2008، ص161.)**

آلان تورين 1925 م، أفكاره تتمحور حول السيطرة على إدارة التراكم، ملك صيغة المعرفة وفرض النموذج الثقافي، حيث تبرز طبقة تتحكّم في عمليّات الإنتاج ونتائجها، ممّا يمنحها قوّة تتحكّم من خلالها في من لا يملكون، كما توظّف الطبقة المهيمنة المعارف في وضع

البرامج والإشراف على إنتاج المعرفة، كما يرى **تورين** أنّ احتكار ملكيّة الثروة لا يحتلّ مكانة الصدارة في عمليّة الصراع، و بالتالي تفرض القوّة المتحكّمة نموذجها الثقافي الذي يعزّز سيطرتها و ضمان مكاسبها و أهدافها الاقتصاديّة و السياسيّة. **(إبراهيم عيسى عثمان، 2008، ص165.)**

بيار بورديو (2002 – 1930)، تتلخّص أفكاره في محاولته لطرح مفاهيم ثنائيّة مثل الذاتيّة والموضوعيّة، الوضعيّة والمثاليّة، الفرد والجماعة، وقد أكّد صفة النسبيّة والتغيّر في القوانين، وينتهي إلى القول بأنّ أزمة علم الاجتماع ناتجة عن نظريّات دون ركيزة امبريقيّة أو أعمال امبريقيّة دون توجيهات. **(إبراهيم عيسى عثمان، 2008، ص161.)**

ممّا سبق نستنتج أنّ النظريّة الماركسيّة المُحدَثة قد تبلورت أفكارها بعد النظريّة الماركسيّة الكلاسيكيّة للحفاظ على الإرث الماركسي الذي بدأ في التلاشي نتيجة سقوط المعسكر الشرقي وفقدانه للعديد من الدويلات التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي، إضافة إلى عدم تحقّق تنبّؤ **كارل ماركس** بسقوط الرأسماليّة التي ستحلّ محلّها الاشتراكيّة ثمّ الشيوعيّة.

4. المدرسة الوضعية:

اسم يُطلق على المذهب الوضعي الذي أسّسه أوغست كونت 1857 – 1798و الحركة التي قام بها، فالوضعيّة بالمعنى العامّ هي الرأي القائل بأنه مادامت المعرفة الحقيقيّة كلّها مؤسّسة على الخبرة الحسّيّة و لا تتقدّم إلّا بالملاحظة و التجربة، فإنّ المحاولات التأمليّة أو الميتافيزيقيّة لاكتساب المعرفة عن طريق العقل الغير محدود بالخبرة، من الضروري أن يتخلّى عنها لصالح مناهج العلوم الخاصّة.

لقد أُطلقت العديد من التسميات على المذهب الوضعيّ، مثل الاتّجاه الطبيعيّ، الاتّجاه الامبريقيّ و الاتّجاه السلوكيّ ، فضلًا عن إطلاق كلمة العلم ذاتها على هذا المذهب، وعندما يُنسب إليه لفظ المذهب فإنّ المقصود بذلك اعتباره بمثابة الابستيمولوجيا الفلسفيّة التي تحظى بالنفوذ الفكريّ في نطاق العلوم الاجتماعيّة وبدرجات متفاوتة، ومن دعاوي هذا

المذهب الوضعيّ أنّ الحقيقة تنحصر في كلّ ما هو متاح أمام إدراك الحواسّ، وأنّ العلوم الطبيعيّة و الاجتماعيّة تشترك في أساس منطقيّ ومنهجيّ واحد، وبذلك تعترف الوضعيّة بالشكل الامبريقي الذي تمثّله العلوم و الشكل المنطقي الذي يعكسه المنطق وتشاركه الرياضيّات في ذلك.(**سامية محمد جابر، 2000، ص128.**)

يجتمع الوضعيّون على أنّ عمل الفلسفة هو فهم المناهج التي تتقدّم بواسطتها العلوم، وليس السعي إلى معرفة العالم معرفة لا تستند إلى العلوم، و يكون للفرنسي **بيكون** شرف البدء بالوضعية في كتابه **(في المبادئ والأصول)** 1624 – 1623 ، فعلى الفلاسفة أن يأخذوا حسبه مبادئ الأشياء كما هي موجودة في الواقع، معتمدين في ذلك على الإيمان بصدق التجارب مع الاعتراف بوجود حقائق أوّليّة دون أيّ تصوّر سابق، فصفة وضعيّ عنده تُطلق على الحقائق التي لا تُفسّر و على المذاهب التي تقوم عليها، وبسبب التأثّر **ببيكون** أصبحت كلمة وضعي تُطلق على مناهج العلوم الطبيعيّة لاعتمادها على الملاحظة والتجربة، وهذا ما صرّح به **سان سيمون** بأنّ كلّ علم لا يسير السيرة ذاتها في الاعتماد على الملاحظة والتجربة عبارة عن علم ظنّي.

وأمّا وضعيّة **كونت** فكانت أكثر من مجرّد فلسفة علم ودراسة للتطوّر العقلي، حيث شكّلت جزءًا من التراث التجريبي في الفلسفة، وبخاصّة عند **دافيد هيوم** الذي برهن على أنّ المعرفة البشريّة الحقيقيّة تتعلّق كلّها بأمور الواقع أو بالمنطق و الرياضيات .لكن الاستدلال المنطقي أو الرياضي لا يمكنه من تلقاء نفسه أن يخبرنا بشيء عن طبيعة العالم، لأنّ نتائجه محصورة في إطار ضيّق، في حين أنّ معرفة واقع العالم على خلاف ذلك .من هنا نشأت الوضعيّة المنطقيّة التي ترجع استحالة معرفة الإنسان لما يجاوز خبرته إلى منطق اللغة نفسه لا إلى أساس سيكولوجي.

وعمومًا يُعتبر **كونت** الأوّل في الحديث عن الفلسفة، حيث يرى أنّ لفظ الوضعيّ يدلّ على الحقيقيّ المقابل للوهميّ، والحالة الوضعيّة في قانون الحالات الثلاث عنده مقابلة للحالة

اللّاهوتيّة والحالة الميتافيزيقيّة. والوضعيّ من الأشياء هو الثابت و الصادق، فالأخبار الوضعيّة عند بعضهم تكون مطابقة للواقع، لذلك فإنّ النظريّة الوضعيّة إنّما تدلّ على أنّ المعرفة الصحيحة هي المعرفة المبنيّة على الواقع والتجربة، وأنّ العلوم التجريبية هي التي تُحقّق المثل الأعلى، وأنّ الفكر البشري لا يستطيع أن يتجنّب اللفظيّة والخطأ في العلم والفلسفة إلّا إذا اتّصل بالتجربة.

فالمدرسة الوضعيّة هي اتّجاه فكري يبني تفسير العلم على مصطلحات التجربة، حيث تستلهم الوضعيّة نقطة انطلاقها من العلوم الطبيعيّة من أجل إقامة التفكير على أساس موحّد.

1.4. الوضعيّة و البحث الاجتماعي:

إنّ الثورة الفرنسيّة ومؤثّراتها السياسيّة و الاجتماعيّة التي عاشها **أوغست كونت** قد حفّزته على وضع الأسس النظاميّة للمجتمع الجديد الذي يجب أن يتكيّف مع روح وتطلّعات العصر ونفسيّة الشعب الفرنسيّ وطبيعة مشكلات المجتمع والمبادئ الثوريّة والتحوّليّة التي تسيطر عليه وترسم أُطُر اتّجاهاته المادّيّة والمثاليّة. لهذا وضع كونت قوانينًا اجتماعيّة وأخلاقيّة وشرعيّة جديدة يمكن أن يسير عليها المجتمع الفرنسيّ ، ومثل هذه القوانين اشتقّها من عدّة علوم أهمّها السياسة والاقتصاد والقانون وعلم النفس. وبالتالي شكّلت هذه القوانين الصرح المنهجي والموضوعي للعلم الجديد والذي يجب أن تتوفّر فيه الشروط التالية:

– أن تكون المعلومات والحقائق التي يتكوّن منها علم الاجتماع متكاملة ومتناسقة وعلى درجة كبيرة من الدقّة والموضوعيّة.

–على العلم الجديد التفتيش عن طرق جديدة يمكن اعتمادها في البحث العلمي الذي يُساعد على تثبيت وتطوير نظريّات العلم وقوانينه الشموليّة.

–أن يكون هذا العلم الجديد قادرا على شرح وتوضيح نظريّات و قوانين الأديان السماويّة والمُثل والأخلاق و القيم.

– أن تكون النظريّات الاجتماعيّة قادرة على التغيّر تبعًا لتغيير الظروف والظواهر الاجتماعيّة والسلوكيّة .وهذا يعني ضرورة تميّز النظريّات الاجتماعيّة بالنسبيّة والمرونة وابتعادها عن صفة التعصّب والتحيّز.

ولقد استعان كونت في نظريّته الاجتماعية بالعديد من المصطلحات العلميّة مثل السكون أو الثبات الاجتماعي والديناميكيّة أو التغيّر الاجتماعي. ويعني كونت بالسكون الاجتماعي تلك العلاقة بين الظواهر والعمليّات الاجتماعيّة وتكامل بعضها مع البعض خلال نقطة زمنيّة محدّدة، وتداخل المؤسّسات وأداء كلّ منها وظائفه المحدّدة. حيث يتجسّد هذا التكامل في اجتماعها و تظافرها من أجل خدمة الأفراد والجماعات لتحقيق التماسك و الترابط، ممّا يجعل المجتمع موحّدًا وقويا وقادرا على تحقيق أهدافه القريبة والبعيدة. ويعني كونت بالديناميكيّة أو التغيّر الاجتماعي، تغيّر مؤسّسات المجتمع بمرور الزمن نتيجة تغيرات تحدث في بعضها أو جميعها، بسبب عوامل طبيعيّة أو إنسانية مقصودة أو غير مقصودة. فتغيّر مؤسّسة معيّنة يؤثّر بالضرورة على بقيّة المؤسّسات الأخرى أين يتبدّل البناء الاجتماعي ويمرّ المجتمع من مرحلة حضاريّة إلى مرحلة أخرى تتّسم بالتقدّم والنموّ والفاعليّة، مثل تقدّم المجتمع من مرحلة التفكير الفلسفي إلى مرحلة التفكير العلميّ الواقعيّ. كما يرى **كونت** بأنّ التضامن الاجتماعيّ لا يمكن أن يتحقّق بصورة كاملة، إلّا إذا وجّه المسؤولون عنايتهم و اهتمامهم بإصلاح نظام التربية و التعليم ونظام الأسرة و النظام السياسيّ، فالتعليم يضبط الغرائز الفطريّة ويهيمن عليها ويحوّل طاقاتها نحو منافذ تخدم الحضارة و المجتمع، كما أنه يهذّب المشاعر الإنسانية ويسمو بمدركات الفرد و تصوراته وأحكامه، ممّا يدفع الإنسان على تقوية علاقاته الاجتماعيّة بالآخرين.

(**Georges Cantecor, 2013, p35.**)

2.4.قصور المدرسة الوضعيّة:

يظهر القصور أو الضعف عند تطبيق المذهب الوضعي على ما يتعلّق بالحياة الاجتماعيّة

الإنسانية، لذلك كان على المذهب الوضعي أن يتجاوز مشكلة التمييز بين ما هو إنسانيّ وما هو مادّي، ذلك التمييز الذي عبّرت عنه الآراء بطرق جدّ متنوّعة و مختلفة، و هو يحتلّ أهمّيّة كبرى في تاريخ الفكر بما ينطوي عليه من مضامين قانونيّة و دينيّة و أخلاقيّة وسياسيّة .كما أنّ هذا التمييز يدّعي أنّ كلّ ما هو إنسانيّ و روحيّ و عقليّ أو ذهنيّ، إنّما يمثّل نظامًا للظواهر يختلف عن نظام الظاهرة المادّيّة، ولا يمكن أن يُفهم بواسطة الطرق الملائمة لذلك النظام الآخر، لقد لجأ بعض الوضعيّين إلى رفض هذا التراث رفضًا قاطعًا بواسطة اختزال كلّ ما هو إنسانيّ إلى مجموعة من المظاهر ذات الطبيعة المادّيّة، و في هذه الحالة تتحوّل الحياة الإنسانية إلى فرع من الكيمياء أو البيولوجيا أو إلى علم النفس السلوكي، بينما لجأ آخرون إلى بناء أنساق نظريّة كبرى تشتمل على علم الحياة، علم النفس، علم المناخ و الجغرافيا و علم الاجتماع، اعتمادًا على فكرة مفادها أنّه طالما كانت تلك العلوم و غيرها جزءًا من الحياة الإنسانية، فهي تعدّ جميعًا ذات أهميّة في فهم الحياة في مُجملها، و هناك طائفة أخرى ذهبت إلى ادّعاء أنّ الظواهر الإنسانية و الاجتماعيّة هي ظواهر واقعيّة مثلها في ذلك مثل الظواهر المادّيّة، إنّ الفكرة الخالصة للمجتمع تكشف عن وجود نُظُم مُطردة تتميّز بواقعيّتها و قابليّتها للتنبّؤ، على الرغم من أنّ المجتمع يشتمل على أفراد يتميّزون في ما بينهم بالمفارقة و التفرّديّة .وعمومًا كانت ثمّة أفكار يسّرت فهم المجتمع و إدراكه بوصفه يمثّل مستوًى للواقع الذي يتميّز بأنّه وحدة قائمة بذاتها .فالوضعيّة اهتمّت ببعض جوانب العلم الطبيعيّ على حساب جوانب أخرى، فالعلم يتميّز بأنّه امبريقي لكنّه أيضا نظريّ إلى حدّ بعيد، وليست القوانين مجرّد تعميمات امبريقيّة سببيّة، بل هي قضايا مترابطة ترابطًا عقليا. وممّا سبق نخلص إلى أنّ إضافات **أوغست كونت** إلى علم الاجتماع كانت قليلة، على الرغم من وضعه مصطلح" سوسيولوجي"، فقد تصوّر البشريّة كلّها شيئًا هلام يا، فلم ي ا ر ع أوجه الالتقاء بين الم ا رحل الاجتماعيّة المتشابهة التي تفضي إلى معرفة القوانين العامّة للتطوّر الاجتماعي، لذلك يعتبر فكره مثال يا سابقًا للواقع ومحرّكًا له، والمثاليّة عنده تعني وجهة تفسيريّة، وهو ما يتعارض مع كونه وضعي ا، فالمجتمع ليس كلّه

تضامنًا وتماسكًا، وانّما فيه صراع و تناقض .كما أنّ فزَعَ **كونت** من التغيرات و الثوارت، جعل من علم الاجتماع أداة محافظة و تبرير للنظام القائم، كما أنّه تحدّث عن منهج الملاحظة و التجربة و لم يستخدمه. **(عبد الباسط عبد المعطي، ص95،96.)**

5.المدرسة الوضعية المحدثة:

يُمكن القول أنّ **ماكس فيبر** قد سار في خطّ مغاير للخطّ الذي سارت فيه الوضعيّة، لأنّ حواره مع الوضعيّة نفسها يميّز تراثه و يطبعه بطابع خاصّ ، فرأي **نيكولا تيماشيف** حول **ماكس فيبر** بأنّه أقام التوليف بين العلم الطبيعي و العلم الروحي على أساس تسليمه المسبق بين العلوم الاجتماعيّة التي تختلف عن العلوم الطبيعيّة اختلافًا واضحًا، فالعلوم الطبيعيّة تتجّه الاهتمامات الإنسانيّة خلالها نحو الضبط، بينما تتّجه الاهتمامات في العلوم الإنسانيّة نحو التقويم، و في رأي **تيماشيف** يصبح مفهوم الثقافة ذاته مفهوم قيمي، كما تصبح الوقائع الامبريقيّة بالنسبة لنا ثقافة، لأنّنا نربطها دائمًا بالقياس من هذا المنطلَق تعود ركائز النزعة الوضعيّة المُحدَثة بعد انهيار المذهب التطوّري إلى ما يتصوّره الوضعيّون الجدد بأنّ مناهج العلم الطبيعي مناسبة لدراسة الظاهرة الاجتماعيّة، حيث نجد الكثير من الكتابات السوسيولوجية تعتمد على **أربعة عناصر**(النزعة الكمّيّة، النزعة السلوكيّة، النزعة الحسّيّة، النزعة النفعيّة) ، تأتي هذه الإيقاعات الوضعيّة الجديدة الرباعيّة لتعبّر بوضوح عن المشروع الرأسمالي، وعليه فإنّ النظريّة الوضعيّة الجديدة تنظر إلى الأشياء كما هي وتتعمّق في وصفها، وتُدركها إدراكًا حسّيا جزئيا معزولًا عن سياقها التاريخي للوقوف على الأوضاع القائمة و كأنّها نهاية التاريخي الاجتماعي للإنسان و مجتمعه.

1.5. رواد الوضعية المحدثة:

من بين روادها نجد :

- **جورج لندربرج** 1966 – 1895 م، عالم اجتماع عمل في الجامعات الأمريكيّة، شغل منصب أستاذ الاجتماع في جامعة واشنطن، تمّ اختياره عام 1942 ، رئيسًا

للجمعيّة الأمريكيّة لعلم الاجتماع، من أبرز ممثّلي الاتّجاه الوضعي الحديث الذي يهدف إلى تحديد الإجراءات المنهجيّة في ضوء الاتّفاق والاقتناع بتحديد المفاهيم من خلال البحث عن الدلائل التجريبيّة أو الإحصائيّة التي تمثّل الظواهر الاجتماعيّة، وتصوّرها في ضوء مجموعة من الإجراءات المحدّدة. ويرى **جورج لندربرج** بأنّ كلّ العلوم الاجتماعيّة أو غير الاجتماعيّة هي بالضرورة أداة أو وسيلة تكيّفيّة، فكلّ بحث يبدأ عادة بعدم التوازن الذي يستشعره الكائن العضوي .وهذا ما يتّفق تمامًا مع النزعة السلوكيّة التي تتجنّب الإشارة إلى أيّة وقائع أو حقائق عقليّة، لذلك تحاول كل ضروب التكيّف في الحياة الإنسانيّة الاقتراب من موقف التوازن الذي يمثّل الحالة الطبيعيّة للأمور، وهذا ما يتّفق مع النظريّة السائدة في العلوم الطبيعيّة المعاصرة.

- **ويليام فيلدينغ أوجبورن** 1959 – 1886 م، عالم اجتماع أمريكي، كان إحصائيا ومربّيًا، تلقّى دراسته في جامعة ميرسر و تحصّل على الماجستير والدكتوراه من جامعة كولومبيا، كان أستاذًا لعلم الاجتماع في جامعة كولومبيا من عام 1919 إلى عام 1927 ، وعندما أصبح رئيس قسم علم الاجتماع في جامعة شيكاغو، شغل منصب الرئيس 19 لجمعية علم الاجتماع الأمريكيّة في عام 1929 ، وكان رئيس تحرير مجلّة الجمعيّة الإحصائيّة الأمريكيّة من 1920 إلى 1926 ، وفي 1931 تمّ انتخابه رئيسًا للجمعيّة الأمريكيّة الإحصائيّة، وقد لعب دورا محوريا في وضع حجر الأساس للاتّجاهات الاجتماعيّة الحديثة، لقد سعى **أوجبورن** من خلال دراساته إلى الحصول على معاملات ارتباط بين المظاهر المختلفة للظواهر، مؤكّدًا في ذلك على الموضوعات التكنولوجيّة و الاقتصاديّة، وكان مؤلّفه الشهير" **الآثار الاجتماعيّة للطيران** 1936"، قد جعله قريبًا من الجناح الرياضي للوضعيّة المُحدَثة.
- **فرانسيس ستيوارت تشابين** 1974 – 1888 م، أستاذ علم الاجتماع، تحصّل على شهادة الدكتوراه، انتقل إلى كلّيّة سميث حيث شغل منصب رئيس القسم من 1920 م

إلى 1940 م، كما شغل منصب رئيس ا ربطة ال 25 لعلم الاجتماع الأمريكي، لعب دورا هاما في إنشاء علم الاجتماع الكمّي الإحصائي في الولايات المتّحدة الأمريكيّة ما بين 1920 م و 1940 م ، يصنّف على أنّه وضعي مُحدَث معتدل كونه استعان بالاتّجاه التجريبي الذي يتميّز بدقّة المنهج التجريبي، والفكرة الأساسيّة التي يرتكز عليها هذا المنهج كما ورد في مؤلّفه" **التصميمات التجريبيّة في البحوث السوسيولوجيّة**"، تدور حول منطق التجربة المعمليّة، لقد وافق **تشابين** الوضعيّة المُحدَثة في تأكيدها على التعريفات الإجرائية في العلوم الاجتماعيّة بالرغم من أنّه اتّخذ موقفًا معتدلًا منها، فلقد أشار في كتاباته بأنّ ما يسمّى بالتعريف الاجرائي لا يُعدّ حلا نهائيا ، بل هو مجرّد تطوّر نحو تحقيق المزيد من الموضوعيّة. وعمومًا فإنّ علماء الاجتماع الرياضيّين و غيرهم من الوضعيّين يميلون إلى الاهتمام بالاتّجاه الوضعي الذي يسعى إلى تأكيد أنّ العلم وحده هو الذي يملك الحقيقة، كما يتّفقون مع **أوغست كونت** في اعتماد الملاحظة والاستدلال عند إجراء التحليل السوسيولوجي . وهنا يصرّح **تيماشيف** أنّه في الوقت الذي تلاشت فيه الواقعيّة المعتدلة عند **كونت** لتحلّ محلّها نزعة إسميّة متطرّفة، اختفت تلك المماثلات العضوية التي قدّمها **كونت** خاصّة في ما يتعلّق بالفيزياء الاجتماعيّة، لذلك استبدلت قضيّة التقدّم الاجتماعي التي أثارت **كونت** والروّاد المؤسّسين لعلم الاجتماع بنموّ تراكمي في النظريّة السوسيولوجيّة العلميّة .

ممّا سبق فإنّ روّاد الوضعيّة اهتمّوا بالمسائل المتّصلة بالسياسة الوضعيّة وعبادة الإنسانيّة، وأهملوا النواحي العلميّة والمنهجيّة في الفلسفة الاجتماعيّة، فهم لم ينجحوا في الوقوف موقفًا حاسمًا بصدد المشاكل الحاصلة بسبب تعمّقهم بالاتّجاه الديني، لذلك اهتمّوا بنشر الديانة الوضعيّة و أصدروا مجلّة اجتماعيّة باسم المجلّة الوضعيّة.

6. مدرسة التحليل النفسي:

نشأت مدرسة التحليل النفسي في أحضان التطبيق الطبّي، فقد قدّمت إسهامًا علميا أهّلها للانضمام إلى علم النفس، و انتقل تأثيرها إلى مجالات كثيرة، منها مجال علم الاجتماع . يُمكن تسمية مدرسة التحليل النفسي بتسميات عديدة، فهي مدرسة سيكولوجيّة السلوك بالرغم من بُعدها عن النظرة السلوكيّة، وتسمّى بسيكولوجيّة الأعماق لاهتمامها الكبير باللاشعور، أو بسيكولوجيّة المشاعر لكونها خالفت سيكولوجيا القرن 19م التي اهتمّت بالعقل وحده . فمدرسة التحليل النفسي هي ثورة ضدّ الاتّجاه الجسدي، نتيجة أنّ بعض الأشخاص الغير أسوياء لا توجد عندهم آفات دماغيّة ممّا يُجبر على البحث عن أسباب مرضهم في حياتهم النفسيّة، وفي عاداتهم الخاطئة في التفكير والعمل، وفي ضعف إرادتهم وفقدانهم لتوازنهم العاطفي، ومن أهمّ روّادها **سيجموند فرويد**، يهودي أوربي، وُلد في تشيكوسلوفاكيا، عاش طفولته في فيينا و درس الطبّ بها وعمل في المخبر الفيزيولوجي ستّ سنوات، ثمّ عمل طبيبًا وتابع دراسة الجملة العصبيّة و تشريحها وأمراضها.

ثمّ ذهب إلى **شاركو** في باريس وتتلمذ على يده لمدّة سنة وعاد بعدها إلى فيينا، زار مدرسة نانسي و لم يعجبه عملها، استفاد من **جوزيف بروير** الطبيب النمساوي و الفيزيولوجي، حيث تعاونا على دراسة الأمراض العصبيّة، فوجد **بروير** أنّ المريضة الهستريائيّة تشعر بتحسّن عندما تتحدّث أثناء التنويم عن مرضها، لكن سرعان ما تخلّى عن تلك الطريقة، لأنّ المريضة التي عالجها **بروير** وقعت في غرامه وصرّحت بأنّها لا تستطيع التخلّي عنه(وجد **بروير** في ذلك خطرا) ، فتابع **فرويد** العمل بها، و حين تعرّض **فرويد** لما تعرّض له **بروير**، ناقش المسألة فوجد أنّ عشق النسوة للطبيب المعالج ليس عشقًا لشخصه و انّما لاتّخاذهنّ إيّاه بديلًا عن موضوع حبّهنّ الأوّل ، وكانت الخطوة التالية أن يتخلّص **فرويد** من التنويم المغناطيسي لينتقل إلى طريقة جديدة ابتكرها وعُرفت باسم التذكّر الواعي، أو طريقة الترابط الحرّ، وبطء هذه الطريقة قد أوصل **فرويد** إلى اللاشعور مباشرة، و وجد بالتفكير والاختبار

أنّ أحلام المريض تعلن لا شعوره، فشرع بدراسة الأحلام و تتبّعها بطريقة الترابط وفي عام 1900م أصدر **فرويد** كتابه" **تفسير الأحلام** "وتلاه كتاب آخر" **علم النفس المرضي للحياة اليوميّة** "عام 1901 م، حيث شرح فيه هفوات اللسان و الذاكرة، و قد تتالت كتبه بعد ذلك و أصبح مدرسة سيكولوجيّة صريحة.

وضع **فرويد** نظريّته في بنية النفس وأنّها ثلاثيّة الأبعاد(ألهو، الأنا و الأنا الأعلى)، وصرّح بأنّ الرغبات المكبوتة والمركّبات النفسيّة هي نتيجة لتحليله للأعراض العصبيّة و الأحلام و الهفوات والمزاج، وهي في الغالب ذات طبيعة جنسيّة. ولكن المبدأ الأساسي في فكر فرويد هو أنّ المريض يحتاج أن يعرف طبيعة مرضه والى إحياء الخبرة الأصليّة التي تسبّب المرض والارتفاع بها إلى مستوى الشعور لتخليص المريض من مركّبه، وبذلك ساعد في شفاء حالات الشلل الهستيري، المخاوف العصبيّة، الغيبوبة والكبت بأنواعه المختلفة. وافترض فرويد أنّ المركّب الأصلي ليس إلّا نتيجة لصدمة عاطفيّة تلقّاها المريض، قد تكون خياليّة أو واقعيّة، وحسبه دائمًا فإنّ الذاكرة لا تموت تمامًا ، نستنتج أنّ أسس الفرويديّة هي الجنس، الطفوليّة والكبت. وحسب فرويد فإنّنا لم نتعلّم المخاوف بالإرتكاس الشرطي، وإنما لأنّها تخفي رغبات لا يوافق المجتمع عليها، فالخوف هو قناع للرغبة. كما أرجع جميع العلاقات الإنسانيّة إلى (الليبيدو)الغريزة الجنسيّة، ويقصد بها طاقة الميول التي تعود إلى كلّ ما يشمله لفظ الحبّ، وهي طاقة تُعتبر كأنّها مقدار كمّي و لكن يصعب قياسها ، و يشبّه فرويد التنويم المغناطيسي بحال الحبّ من حيث أنّه لا يتعدّى بالذات أو الأنا أو الموضوع، ولكنه يستند إلى نوازع جنسيّة مكبوتة. كما تلعب الرموز دورا هاما في النوم، فالرموز في الأحلام هي نتاج الرقابة التي تمنع الرغبات المستترة من الوضوح الشعوري، وتلعب دورا هاما في الحياة الاجتماعيّة، أمّا تفسير الدين عند **فرويد** فهو مرض عصابي أساسه الأفكار المتسلّطة، وهو ما يعطي الدين –حسبه –القوّة و السلطان.

وباختصار فإنّ **فرويد** يفسّر أصل المجتمع ومختلف مظاهر الحضارة بنزعات الليبيدو التي هي قوّة حياة فطريّة، ويميّز إلى جانبها غريزة الاعتداء أو الإتلاف والموت، فيقوم المجتمع بتوجيه الأفراد إلى العدوان على المجتمعات الأخرى. وعمومًا، فإنّ نظريّة **فرويد** لم تر ض علماء النفس ولا علماء الاجتماع، وهو نفسه(**فرويد**)يذكر أنّها عبارة عن محاولة في التفسير، وينطبق على نظريّته ما ينطبق على كلّ التفسيرات التي حاولت تفسير الظاهرة الاجتماعيّة عن طريق الحالات الفرديّة، لأنّ الحالات الاجتماعيّة ذات صفات مميِّزة لها عن غيرها. **(زنقوفي فوزية،2018، ص ص97-98)**

الخاتمة:

يتنوّع الواقع المجتمعي في كلّ مرحلة تاريخيّة بعمليّات التراكم المعرفيّة التي يحقّقها الباحث الاجتماعي في معالجة موضوعات العلوم الاجتماعيّة المختلفة لتتّضح ارتباطاتها و مدى تعدّد اتّجاهاتها و مدارسها، خاصّة في تناولها لمختلف الاتّجاهات النظريّة التي تشكّل جزءًا أساسيا من الحقيقة العلميّة في حياتنا اليوميّة، فهي الأساس الكامل وراء كلّ مذاهب المعرفة الإنسانية و كلّ تفسير لأنماط السلوك المختلفة التي يسلكها الأفراد و الجماعات داخل البناءات الاجتماعيّة المتعدّدة و المتباينة في كلّ مظاهر النشاط الاجتماعي المميّز في الحياة الاجتماعيّة .كما تتضمّن التراكمات المعرفيّة كلّ ما يميّز الفكر الاجتماعي من بناءات فرعيّة تختلف باختلاف الاتّجاهات الفكريّة التي تميّز فكر مختلف الرواد في مدارسهم بمختلف اتّجاهاتهم و فلسفاتهم التي ينطلقون منها في تفسير الظواهر الاجتماعيّة.

فالعلوم الاجتماعيّة لا يمكن أن تؤدّي و ظائفها و تحقّق أهدافها دون تكامل وحدة أُطرها النظريّة والفكريّة ودون تطوّر الأساليب المنهجيّة و البحثيّة، وبالفعل فقد استطاع الرواد والمفكّرون في مجال العلوم الاجتماعيّة الوصول إلى بلورة وتطوير المدارس الفكريّة والنظريّة التي عملت على تمكين العلم من تنمية مناهجه الدراسيّة العلميّة وتطوير أدواته البحثيّة تماشيًا مع التغيرات التي طرأت على المناهج و النظريّات و النُّظم الاجتماعيّة.

وأخيرا نأمل أن يكون هذا العمل المتواضع إضافة نافعة إلى رصيد معرفة الطالب و عونًا له على متابعة البحث في كل أطواره التعلمية و التمكن من تجسيدها في كل مراحله.

قائمة المراجع:

1- إبراهيم عثمان، **مقدّمة في علم الاجتماع**، دار الشروق، عمان-الأردن، 1999 .

2- إحسان محمد الحسن، **مناهج البحث الاجتماعي**، دار وائل، الأردن،2005 .

3- بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلاني، **محاضرات في المنهج والبحث العلمي**، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009 م.

4- جابر عبد الحميد جابر وآخرون، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار النهضة العربية، القاهرة-مصر، 2002.

5- جازية كيران، **محاضرات في المنهجية لطلاب علم الاجتماع**، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016.

6- جورج غوريفتش، **دراسات في الطبقات الاجتماعية**، ترجمة أحمد رضا، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة،1973.

7- حسين عبد الحميد، أحمد رشوان :**ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية-مصر، 1977 .

8- ذوقان عبيدات وآخرون، **البحث العلمي-مفهومه، أدواته، أسلوبه-**، دار المجدلاوي، عمان-الأردن،1983 .

9- ذوقان عبيدات، **البحث العلمي**، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان-الأردن،.2001 .

10- رابح كعباش، **علم اجتماع التنظيم**، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006 .

11- ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنية،**مناهج وأساليب البحث العلمي**، دار الصفا، عمّان-الأردن،2000 .

12- سامي ملحم، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار المسيرة، القاهرة ،2000 .

13- صلاح الدين شروخ، **منهجية البحث القانوني للجامعيّين-علوم قانونية، علوم اجتماعية**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة ، 2003 م.

14- طلعت همام، **سين وجيم عن مناهج البحث العلمي**، ط 3 ، مؤسسة الرسالة بالاشتراك مع دار عمار، لبنان،1989 .

15- عامر مصباح، **منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام**، ط3 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2017 .

16- عبد الباسط عبد المعطي، **البحث الاجتماعي- محاولة نحو رؤية نقدية لمناهجه وأبعاده**-، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985 .

17- عبد الباقي زيدان، **قواعد البحث الاجتماعي**، مطبعة السعادة، القاهرة-مصر، 1980.

18- عبد الله محمد عبد الرحمن، **علم الاجتماع- النشأة والتطوّر**-، دار المعرفة الجامعية، بيروت-لبنان، 1999.

19- عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات، **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1999 .

20- غازي عناية، **البحث العلمي- منهجية إعداد البحوث والرسائل الجامعية : بكالوريوس، ماجستير، دكتوراه**، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2014.

21- محمد علي محمد، **علم الاجتماع والمنهج العلمي**، ط 3 ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1986.

22- محمد لبيب النجيحي، **مقدّمة في فلسفة التربية**، ط 2 ، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ، 1967.

23- معتز سيد عبد الله وعبد اللطيف محمد خليفة، **علم النفس الاجتماعي**، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ، د.س.

24- محمد طلعت عيسى، **البحث العلمي- مبادئه ومناهجه-**، ط 3 ، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة ، 1963.

25- محمد عاطف غيث، **دراسات في تاريخ التفكير واتجاهات النظرية في علم الاجتماع**، دار النهضة العربية، القاهرة ، 1975.

26- محمد لبيب النجيحي، **مقدّمة في فلسفة التربية**، ط 2 ، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ، 1967 .

27- Maurice Bouvier-Ajam ; **Essai de méthodologie historique**, Edition Le Pavillon, France, 1970.

28- François Buton, Nicolas Mariot, **Pratiques et méthodes de la socio-histoire**, Presses Universitaires de France, 2009